www.quranonlinelibrary.com

بهنام صادقي وأوي بيرجمان
Behnam Sadeghi and Uwe Bergmann

موازنة بين مصحف عثمان وإحدى مخطوطات صنعاء (طرس صنعاء ١)

نظرات حول تاريخ تدوين القرآن

ترجمة
د/ حسام صبري

www.tafsir.net
مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

www.Quranonlinelibrary.com

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نبذة تعريفية بالكاتبين:

بهنام صادقي Behnam Sadeghi:

أستاذ مساعد في الدراسات الدينية بجامعة ستانفورد بكاليفورنيا منذ ٢٠٠٦م، مهتم بالفكر الإسلامي وبالقانون وبالإسلام المبكّر.

له في هذا السياق كتاب بعنوان : «منطق صنع القانون في الإسلام: المرأة والصلاة في التقاليد القانونية، ٢٠١٢م»

أوي بيرجمان Uwe Bergmann:

باحث بمعهد PULSE لعلوم الطاقة بجامعة ستنافورد.

مقدمة[١]:

هذه الورقة واحدة من أهم الكتابات الغربية حول مخطوطات القرآن، حيث تشمل دراسة موازنة بين مصحف عثمان وإحدى مخطوطات صنعاء، وتحاول في ضوء ذلك الإشارة لبدايات كتابة القرآن وتدوين المصحف الشريف، وبيان غلط الدعاوى التشكيكية التي أُثيرت حول تاريخ القرآن بسبب اكتشاف مخطوطات صنعاء.

في هذه الورقة يقدّم صادقي وبيرجمان دراسة لإحدى مخطوطات صنعاء (طرس صنعاء ١) في ضوء المصحف العثماني، ويستعرضان النصّ العلوي من هذا الطرس والسُّفلي منه، ويقومان بمحاولة ربط النصّ السُّفلي بمصاحف الصحابة المذكورة في التقليد الإسلامي في كتب المصاحف والقراءات، ثم يقومان بمحاولة ربط هذا المصحف بالقرآن الذي تلاه النبيّ وأملاه على أصحابه، وفي هذا السياق يستنتج صادقي وبيرجمان أصالة المصحف العثماني ودقّته، وأنّ الخلافات الحاصلة بين مصاحف الصحابة هي خلافات قليلة غير مؤثّرة، وأنها كانت شفهية عارضة لا ترجع لأمور دينية وأيديولوجية كما تروّج بعض الدعاوى الزائفة، وإنما ترتبط بأمور ترجع للإملاء السماعي.

---

(١) قام بكتابة المقدّمة والتعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف بأن نصصنا بعدها بـ«قسم الترجمات».

تُولي الورقة اهتمامًا بمسألة نقل القرآن وكتابة المصحف والمصاحف الخاصّة بالصحابة، وتعمل على الرّد على بعض الأطروحات الغربية ذات الصِّلَة بتاريخ القرآن وتدوينه، كطرح جون بورتون القائل بأنّ المرويات الدالة على وجود مصاحف الصحابة وُضعت بعد عهد عثمان لمواجهة النصّ العثماني أو تفسيره، وكذلك تبيّن أغلاط الاتجاه التنقيحي والدعاوى التشكيكية التي روّج لها حول تاريخ القرآن والمصادر الإسلامية وأصول الإسلام، وغير ذلك.

كما تُثير الورقة جوانب متنوّعة لآفاق البحث الغربي في باب الدراسات القرآنية، وتقترح طريقة لدراسة التاريخ المبكِّر للقرآن الكريم من خلال مسارَيْن مزدوجَيْن، الأول هو القراءات والمرويات المبكّرة، والثاني هو المخطوطات، وتبيّن كذلك أهمية وجود قاعدة بيانات لصور المخطوطات القرآنية.

إنّ هذه الورقة من الأوراق الغربية المهمّة في سياق البحث في مخطوطات القرآن الكريم والنظر لتاريخ القرآن وتدوين المصحف، وبغضّ النظر عن الاتفاق والاختلاف مع ما تثيره من بعض المعطيات، فمن المهم إطلاع الدرِاسين عليها والنظر فيها والاشتباك معها، وهو الغاية المرجوّة من وراء تعريب النتاج الغربي.

الدراسة(١)(٢)(٣)

(١) نودّ أن نتوجّه بالشكر لصاحب ورقة ستانفورد (٢٠٠٧) لإتاحتها لنا ولتقديم عيّنة من التأريخ بالكربون المشع، وكذلك لبرايس كرونكايت راتكليف للمساعدة في تتبّع الصور، وسيسي إفانجيلستا في مكتب التطوير بجامعة ستانفورد للدعم اللوجيستي والمساعدات الأخرى، علاوة على العاملين في مكتبات جامعة ستانفورد ومختبر ستانفورد للإشعاع السنكروتروني. وقد أجريتُ بعض مراحل هذا البحث في مختبر ستانفورد للإشعاع السنكروتروني في مركز ستانفورد للمسرعات الخطية، وهو مرفق للاستخدام الوطني تتولّى إدارته جامعة ستانفورد لصالح مكتب علوم الطاقة الأساسية التابع لوزارة الطاقة الأمريكية.

ويودّ بهنام صادقي التعبير عن شكره وامتنانه للأشخاص الآتية أسماؤهم: مايكل كوك، وديفيد باورز، وباتريشيا كرون، وميشيل كوبريسون، ومحسن جودارزي، وديفين ستيورات، وزيد أدهمي، ومحمد مكي. كما أتوجّه بالشكر كذلك لمايكل كوك وروبرت والتز للمحادثات القيّمة وتبادل الآراء، علاوة على ميتي كورشولم لتقديم صور عالية الدقّة من الرقاقة الخاصّة بمجموعة ديفيد، علاوة على إم س سيف الله للمساعدة في المراجع، وسكوت لوكاس لإقراضه قرص اليونسكو المضغوط، ومحمد الأعظمي لإهدائه الطبعة الثانية من كتاب (تاريخ النصّ القرآني). وقد قدّمت النسخة الأولى من هذا البحث في الندوة التي عقدت حول التاريخ المبكّر للقرآن بجامعة ستانفورد يومي ٣٠- ٣١ يوليو، ٢٠٠٩.

تضمّنت مشاركة أوي بيرجمان إعداد الأدوات اللازمة وإجراء التصوير بالأشعة السينية لرقاقة ستانفورد ٢٠٠٧ وتحديد تركيبة الأحبار المستخدمة في هذه الرقاقة، والمشاركة في التجهيزات اللازمة لإجراء التأريخ بالكربون المشعّ. وقد تولّى بهنام صادقي تحويل النتيجة العددية لعملية التصوير إلى صور للرقاقة وتتبع النصّ السفلي وأجرى الحسابات الخاصّة بالاحتمالات أحادية الجانب لنتائج التأريخ بالكربون، وكتب هذا البحث. وحين يرِد ضمير المتكلِّم في هذا البحث فالمراد به بهنام صادقي.

(٢) قام بترجمة هذه المادة: حسام صبري، مدرس بكلية اللغات والترجمة - قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، بجامعة الأزهر، شارك في ترجمة عدد من الكتب الدينية، وقام بترجمة عدد من البحوث، كما أن له العديد من الترجمات المنشورة على بعض المواقع الإلكترونية.

(٣) العنوان الأصلي للمادة هو (The Codex of a Companion of the Prophet and the Qurʾān of the Prophet)، وقد نشرت في Arabica 57 (2010) 343-436، جدير بالذِّكر أن الترجمة الحرفية للعنوان هي: (مصحف =

١ - مقدمة:

استعراض النتائج:

بين أيدينا دراسة لنسختَيْن من القرآن: هما الطبقة العليا والسُّفْلى لطرس صنعاء (١). والطبقة العليا هي القرآن بصورته المعهودة ومن الممكن أن تعود للنصف الأول أو الثاني من القرن السابع الميلادي أو إلى مطلع القرن الثامن؛ ووفقًا للتأريخ بالكربون المشع يعود تاريخ الرقّ وبالتالي الكتابة السفلية إلى النصف الأول من القرن السابع.

وتؤكّد الروايات الإسلامية المبكّرة على وجود نُسَخ مختلفة من القرآن لدى صحابة النبيّ، وتنقل لنا بعض الأخبار الاختلافات المزعومة بين هذه المصاحف، ويبدو أنّ الاختلاف بين المصاحف قد أسفر عن محاولة للتوحيد. ووفقًا للذاكرة الجماعية للمسلمين الأوائل فإنّ الصحابي عثمان بعد تولّيه الخلافة وزّع نسخة من القرآن على الأمصار لتكون النسخة المعيارية المعتمدة. ولا يُعرف على وجه التحديد تاريخ هذا الحدث، غير أنه من المرجّح وقوعه في الفترة ما بين سنة ٢٤ إلى ٣٠ هجرية، ويوافق الفترة من سنة ٦٤٤ إلى ٦٥٠

=

صحابي وقرآن النبي)، إلا أننا قُمنا بتعديل العنوان وجعلناه (موازنة بين مصحف عثمان وإحدى مخطوطات صنعاء (طرس صنعاء ١)؛ نظرات حول تاريخ تدوين القرآن)، بحيث يكون أكثر تعبيرًا عن اشتغال المادة، مع ملاحظة أنه يظلّ من المتعذر بعض الشيء تسييق اشتغال المادة في ضوء عنوان محدّد. (قسم الترجمات).

ميلادية[١]. وتنتمي جميع المخطوطات القرآنية الموجودة حاليًا إلى التقليد النصّي الذي ظهر في هذه النسخة القرآنية.

تكمن أهمية طرس صنعاء (١) في أنّ النصّ السُّفْلِي لا ينتمي إلى التقليد النصِّي العثماني، بل إلى تقليد نصِّي آخر نسميه هنا (مصحف C-1). ولا يتميّز هذا التقليد النصِّي عن التقليد العثماني فحسب كما هو معلوم من المصادر الأدبية والمخطوطات، بل يختلف كذلك عن التقاليد النصّية المستخدمة في مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب التي تشتمل على تنقيحات للقرآن لا تشهد لها المخطوطات، وإنما وردتْ في بعض الأوصاف المذكورة في المصادر الأدبية. وسأتبنّى وجهة نظر ترى أن النسخة C-1 والتقاليد النصية الأخرى شكّلت تقاليد متوازية، وأنّ المقارنة بينها يمكن أن تكشف لنا حالة النصّ قبل أن تتفرّع عنه هذه التقاليد المختلفة وتلقي الضوء على الأصل الذي انبثقت منه جميع التقاليد النصّية، وأقصد بهذا النموذج القرآني الأصلي.

ويبرهن البحث على دور الذاكرة والمشافهة في نشأة مصاحف الصحابة، وهو ما يفسّر تمامًا الاختلاف بين التقليد النصِّي العثماني ونسخة C-1. وحجم

(١) لتحليل الأدلة المتعلّقة بتاريخ التوحيد العثماني للنصّ القرآني، انظر: محمود راميار، تاريخ القرآن، الطبعة الثانية، طهران، أمير كبير، ١٣٦٢هـ/ ١٩٨٣، ص:٤٣٣- ٤٣٥؛ وانظر أيضًا:

Ahmad ʿAli al-Imam, *Variant Readings of the Qur'an*, Herndon, Virginia, International Institute of Islamic Thought, 2006, p. 20-1.

الاختلاف وعدده يدلّ على النقل بالمشافهة؛ غير أنّ الاقتصار على النقل بالمشافهة أمرٌ مستبعَد لأنّ الاختلافات بين المصاحف تظلّ استثناء لا قاعدة حتى حين يتعلّق الأمر بعناصر لغوية ثانوية، وليس هناك سيناريو لتنقيح متعمّد للنصّ المكتوب يفسّر هذه الاختلافات.

وتقتضي الأدلة المتاحة وجود نموذج يجمع بين المشافهة والكتابة، أي نموذج شبه شفهي. وإذا شئنا التحديد على وجه الخصوص فإنّ السيناريو الذي يرى حدوث إملاء من نموذج أوّلي هو الأنسب، وتعود الاختلافات الهائلة بين التقاليد النصّية القرآنية لمصحف عثمان ونسخة C-1 إلى التباين في طريقة تلقّي عدد من النسّاخ لهذا النموذج الأوّلي عند تلاوته.

وليس القصد من هذا القول بأنّ الكتابة السفلية في طرس صنعاء (١) نفسها كانت نتيجة مباشرة لعملية الإملاء؛ فربما تكون منسوخة من مخطوطة أخرى. والفكرة أن الكتابة السفلية والمخطوطة الأصلية المأخوذة منها هما في الأصل جزء من التقليد النصي C-1. ولا بدّ أن التقليد النصِّي (C-1) والتقاليد المقابلة لمصاحف الصحابة الأخرى قد تشعّبت عند مرحلة معيّنة. وهذا التشعّب هو ما تضمّن العملية شبه الشفهية؛ فبعد أن انبثقت التقاليد النصّية المختلفة (التقليد الأساسي والتقاليد الخاصّة بمصاحف الصحابة) من عملية الإملاء لبعضها أو كلّها، من الممكن أن تكون انتقلت بعد ذلك بالكتابة.

يسعى النقد النصّي إلى تحديد نموذج أوّلي بناء على اختلاف النُّسَخ النصّية. ولأغراض تتعلّق بالمهمة الحالية تتضمّن هذه النُّسَخ القرآنَ العثماني ومصاحفَ الصحابة المختلفة؛ ولذا من الضروري مناقشة حالتها قبل الشروع في التحليل، وسوف أبدأ بمصحف عثمان، واستنادًا إلى مقتضيات النتائج الأخيرة المهمّة (التي توصّل إليها مايكل كوك، وياسين دتون، وحسين مدرسي وآخرون)[١]، أحاولُ الوصول إلى إطار عمل يتصوّر العلاقة بين التقليد العثماني والمصاحف الأخرى، وأنطلقُ من خلاله إلى دراسة المخطوطات العثمانية، مثل النصّ العلوي في هذه الطروس. وفيما يخصّ وضع المصاحف الأخرى غير العثمانية التي وردَ ذكرها في المصادر الأدبية الإسلامية فأرى أنّ هناك قدرًا كبيرًا من الصحة في هذه المرويات وأنّ اللائحة التي تعود للقرن الثاني وتشتمل على الاختلافات الواردة في مصحف ابن مسعود ربما تكون تجسيدًا حقيقيًّا لأحد المصاحف المبكّرة.

أول مناهج النقد النصّي المستخدمة هو علم دراسة العلاقة بين النصوص، وأحيانًا يُعرف باسم منهج دراسة الأنساب genealogical method، وهي طريقة تعتمد على معدّل التكرار في اتفاق كلّ نصّ مع غيره من النصوص. ويُستخدم هذا المنهج في دراسة ثلاثة أنواع نصية، هي النوع العثماني، ونسخة C-1، والنوع الخاصّ بمصحف ابن مسعود، وذلك لبناء علاقة محتملة بين النصوص، ومن

(١) سوف ترِد في هذا البحث اقتباسات من أعمال هؤلاء المؤلِّفين وغيرهم في الموضع المناسب. وقد أغفل بعض المؤلِّفين أهمية هذه الأعمال، يمكن الاطلاع على عدد من الأبحاث في:
G.S. Reynolds (ed.), *The Qurʾān in its Historical Context*, London, Routledge, 2008.

خلال هذا يتّضح أنّ العلاقة المنطقية بين هذه النصوص تقوم على أساس وجود نموذج أصلي أوّلي انبثقت منه مصاحف الصحابة الثلاثة؛ وبناء على ذلك، تشير المعطيات إلى أن التقليد النصِّي العثماني يمثّل النسخة الأكثر دقّة في النقل عن هذا النموذج الأصلي. وثمة سيناريو آخر يفسّر المعطيات بصورة مناسبة أيضًا، ووفقًا لهذا السيناريو يمكن للمرء أن ينظر إلى مصحف عثمان على أنه محتوى مركّب جاء نتيجة المقارنة بين مصاحف الصحابة المختلفة واختيار النسخة التي تحظى بأكبر قدر من التوافق في مواضع الاختلاف، ولا يعتمد منهج العلاقة بين النصوص على طبيعة الاختلافات وشكلها أو طبيعة المصحف ككلّ.

أمّا طبيعة الاختلافات فقد تناولْتُها في منهجي الثاني للنقد النصّي عند تحليل قطبية الأدلة الداخلية، إِذْ أحاول تحليل نصّيْن (هما النسخة C-1 ومصحف عثمان) لتحديد مواطن التفاوت الإحصائي بينهما ومحاولة تحديد نوع النصّ الأسبق زمنيًّا. والاستنتاج الذي يمكن الخروج به من التفاوت فيما يخصّ التأريخ النسبي في هذا النوع من التحليل يسير وفق المبادئ التي تجسّد طريقة النقل، فإنّ مصاحف الصحابة تستلزم مبادئ تناسب الحالات التي يتلازم فيها النقل الشفاهي والكتابي كما هو الحال في الإملاء، ويبيّن البحث هذه المبادئ ويطبقها على الاختلافات بين مصحف عثمان والنسخة C-1؛ وهذا المنهج يكشف لنا أنّ طريقة الكتابة في مصحف عثمان أقدم من النسخة C-1.

وهذا التحليل يمهّد الطريق لبحث قضية الأصل الذي انبثقت منه جميع التقاليد النصِّية القرآنية، وتكشف الأدلة التي جرى تحليلها في هذا البحث أنّ ذلك النموذج الأصلي يرتبط بالنبي محمد. وفضلًا عن مسألة التأريخ، تتيح الأدلة مناقشة الخصائص الأخرى لهذا النموذج الأصلي، وتختلف النتائج الواردة هنا عن الرواية المعتادة وتتجه نحو فهم أكثر تحفظًا. ولعلّ أكثر نتيجة آمنة تخرج بها هذه الدراسة أن ترتيب الآيات والجُمَل كان مستقرًّا بالفعل في النموذج الأصلي النبوي، وهي نتيجة تخالف ما تعارف عليه السابقون حول التاريخ الذي رُتّبت فيه الآيات القرآنية في سور محدّدة، وكان التصوّر الشائع أن هذا الأمر يعود لزمن عثمان؛ إلا أنّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة التي بين أيدينا ترجّح تأريخًا آخر يعود لزمن النبيّ نفسه[١].

كذلك تختلف نتائج الدراسة الحالية عن المتعارف عليه فيما يخصّ المزايا النسبية لمصاحف الصحابة المختلفة، فإنّ رأي جماهير أهل العلم يربط بين مصاحف الصحابة والأحرف السبعة التي نزل بها الوحي؛ ولهذا لا يرون لمصحف عثمان أفضلية كبيرة من حيث الدّقة اللفظية والاتفاق مع الأصل عن

(١) لعلّ الورقة تقصد هاهنا الدرس الاستشراقي الغربي، وإلا فارتباط ترتيب الآيات داخل السور بزمن النبوة وأنه من الأمور التوقيفية هو من القطوع به في الجانب الإسلامي، بخلاف ترتيب السور الذي شهد خلافًا وهل كان توقيفيًّا أم اجتهاديًّا من قِبَل الصحابة. (قسم الترجمات).

سائر مصاحف الصحابة مثل ابن مسعود، وضمنيًّا النسخة C-1 (ومع ذلك فإن رأي الجمهور أنه لا تصح الصلاة بقراءة تخالف مصحف عثمان؛ والسبب في هذا هو الإجماع أو لأنه يمثل العرضة الأخيرة (التي تلا فيها محمد القرآن على جبريل أو تلقّاه منه)[١]. على الجانب الآخر، فإنّ الاتجاه المخالف الذي ذهب إلى القول بوجود نوع من التعدّدية في المصاحف لا يجد بأسًا في المصاحف غير العثمانية، وجواز استعمالها في جميع الأغراض. ولا يقطع أيٌّ من الاتجاهين بأنّ المصحف الإمام أكثر دقّة من غيره في التعبير عمّا تلاه النبي. ومع ذلك فإنّ الدراسة الحالية تكشف عن دليل نصّي يدعم نتيجة أكثر تحفظًا، ترى أن التقليد العثماني أفضل من النسخة C-1 في نقل النموذج الأصلي النبوي. (ومع ذلك يمكن تعديل هذه النتيجة مستقبلًا إذا كشفت أجزاء المخطوطة التي لم تتناولها الدراسة الحالية عمّا يخالف الاتجاهات القائمة حتى وقتنا الحالي).

---

(١) للوقوف على رأي الجمهور في مصاحف الصحابة، انظر ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ١٣٨٢/ ١٩٦١، ص٣٢- ٣٤. وانظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣/ ١٩٩٣، (١/ ٤٩). ويذكر ابن الجزري أنه في زمانه قد اتفق العلماء على أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لا تقتصر على النصّ العثماني، وينقل عن أحد الثقات ما يبيّن أنّ مِن بين الأحرف ما فيه إضافة أو حذف أو إبدال أو إدغام للكلمات؛ وهذه هي أنواع الاختلافات الموجودة في النسخة C-1 ومصحف ابن مسعود، ويمكن الاستئناس أيضًا بفعل المفسرين القدامى في النقل من مصحف ابن مسعود والاستشهاد به.

عند التفكير في نصّ مخطوطةٍ ما، من الضروري أنْ نَعِيَ أنها تمثّل نوعًا نصيًّا معيّنًا؛ فالمخطوطات التي تنتمي إلى التقليد النصِّي القياسي، أي التقليد العثماني، قد تشتمل على الكثير من الاختلافات فيما بينها إلا أنّ هذه الاختلافات تظلّ بسيطة عند مقارنتها بالتقليد النصِّي للنسخة C-1 أو مصحف ابن مسعود. ولهذا يمكننا الحديث عن نوع نصِّي عثماني تمثِّل فيه كلُّ مخطوطة عثمانية حالةً ونموذجًا رغم إمكانية اشتمالها على اختلافات بينها وبين النصوص العثمانية الأخرى. وبذلك يكون النّوع النّصِّي مجموعة عنقودية من النصوص المتشابهة التي تتمايز عن المجموعات الأخرى، ويمثّل النوع النصِّي مفهومًا أساسيًّا في النقد النصِّي، يكمن خلفه مفهوم التقليد النصِّي. وعادة ما تكون النصوص المنتمية لنفس النوع النصِّي أكثر ارتباطًا بعضها ببعض من حيث النشأة، فمن المحتمل أن تنتمي لفرع واحد من التقليد النصِّي؛ ولذا فإنّ الأنواع النصِّية تتيح لنا ترتيب النصوص في شجرة العائلة تمامًا مثلما تحدّد الأنماط الظاهرية الأنواع الحيوانية والنباتية المرتبطة من حيث التطوّر.

لعلّه من الملائم أن نشير إلى المخطوطة التي يتناولها هذا البحث بالدراسة، إلى وجهَيْها والأجزاء المفقودة منها باسم «طرس صنعاء (١)». في حين تتم الإشارة إلى مصحف الصحابي الوارد في النصّ السفلي بصرف النظر عن شخص هذا الصحابي، وكذلك إلى النوع النصِّي المقابل والتقليد النصِّي الخاص به بالاختصار C-1 بمعنى الصحابي الأول، ولا شَكّ أنّ السياق سوف

يزيل أيّ لبس. كذلك نستخدم اسم عثمان وابن مسعود للإشارة إلى مصحف كلّ منهما والنّوْع النصِّي المترتّب عليهما.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كلمة «عثماني» حين تَرِد في هذا البحث لا تعني التقيّد بالرّسم العثماني مثلما يرد في تعبير بعض المؤلِّفين؛ وإنما القصد منها الانتماء إلى النوع النصِّي للمصحف الإمام. ويقف خلف هذا النّوْع النصِّي التقليد النصِّي للمصحف الإمام، وهو تقليد بدأ مع المصاحف التي وزّعها عثمان على الأمصار وانبثقت منها جميع المخطوطات التي تنتمي لهذا التقليد النصِّي، وخلال مسيرة نَسْخ العشرات أو المئات من النُّسَخ منذ وقت المخطوطات الأصلية الأولى، تراكمت العديد من التغييرات البسيطة، وحتى الآن فإنّ أشهر نوع لهذه التغييرات يتعلّق بطريقة الهجاء والكتابة، فلم تكن هناك طريقة موحّدة لكتابة الكلمات العربية وكان كلّ ناسخ يسير على الطريقة التي يفضّلها بدلًا من الالتزام بالأسلوب المتّبع في المخطوطة التي ينسخها. لذا فإنّ المخطوطة العثمانية، بالمعنى الذي أقصده، لا تستلزم بالضرورة الحِفَاظ على طريقة الكتابة الأصلية في المخطوطة الأم المنقولة عنها؛ وربما تختلف كذلك عن المخطوطات الأصلية بأشكال أخرى أكثر أهمية.

تحديد أوراق مخطوطة طرس صنعاء (١) وبيان نتائج التأريخ بالكربون المشع:

بدأ البحث بفحص ورقة فردية من الطرس عُرفت باسم «ستانفورد ٢٠٠٧»، وكانت أبعادها ٣٦.٣ سم × ٢٨.٥ سم، ثم امتدّت الدراسة لصور فوتوغرافية لبعض الورقات الأخرى من نفس المخطوطة، والطرس هو رقّ مؤلّف من طبقتين من النصوص على الأقلّ، مُسحت الطبقة الأولى أو مُحِيَتْ وكُتب عليها من جديد، لكن مع الوقت تعاود الظهور من جديد على صورة ظلال أو في حالتنا هذه في صورة نصّ بُنّي باهت اللون. وفي أغسطس ٢٠١٧ عمد أوي بيرجمان إلى تصوير ورقة ستانفورد ٢٠٠٧ بالأشعة السينية الفلورية في مختبر ستانفورد للإشعاع السنكروتروني في مركز ستانفورد للمسرعات الخطية (SLAC)، والهدف من استخدام تقنية التصوير بالأشعة السينية الفلورية الكشف عن أيّ آثار كيميائية في الورق خلّفها الحبر (المداد) أو الأصباغ. وقد أدّى استخدام هذه التقنية على ورقة ستانفورد ٢٠٠٧ إلى المساعدة في قراءة النصّ السُّفْلي وتتبعه وتسليط الضوء على بعض الحروف وفواصل الآيات وعلامات الشكل والإعجام، ولولا ذلك لما أمكن قراءتها ولا رؤيتها (الشكلان ٣- ٤). وعلاوة على ذلك، فإنّ المداد المستخدم في الطبقتين مختلف من الناحية الكيميائية مما أتاح تحديد الطبقة التي تنتمي إليها كلّ سمة. على سبيل المثال أمكن التأكّد من أنّ علامات الشَّكْل وعلامات فصل الآيات كانت بنفس المداد المستخدم في النصّ الرئيس، وينطبق هذا الأمر على النصّيْن العلوي والسفلي،

وكذلك على فواصل السّور الزخرفية في النصّ السفلي. ولذا على الأرجح لم تتم إضافة هذه السمات في مرحلة لاحقة، ويمكن تنزيل صور فوتوغرافية عالية الدّقة للورقة فضلًا عن صور للآثار الكيميائية وتتبّع مرسوم بخط اليد للنصّ السفلي من على الرابط الآتي: http://ssrl.slac.stanford.edu/quranleaf.

هذا وقد أُجري التأريخ بالكربون المشع على عيّنة من ورقة ستانفورد ٢٠٠٧، في مختبر المطياف الكتلي التسارعي (AMS) في أريزونا. وتوضح النتائج أن تاريخ الرّق يعود إلى الفترة ما بين سنة ٦١٤م إلى ٦٥٦م باحتمال نسبته ٦٨٪، في حين يمكن أن يعود إلى الفترة ما بين سنة ٥٧٨ و٦٦٩ بنسبة احتمال تبلغ ٩٥٪[(١)].

(١) نتائج التأريخ بالكربون المشع في مختبر المطياف الكتلي التسارعي في جامعة أريزونا موضحة في خطاب بتاريخ ٢٣ مايو ٢٠٠٨ مرسل من مدير المختبر وأستاذ العلوم الجغرافية والفيزياء، تيموثي جول. وفيما يأتي ترجمة اقتباس من هذا الخطاب: دلتا كربون ١٣ (δ13C): ٢٠.٨ لكل مللي.

الكسر الحديث: 0.8393 ± 0.0037

العمر بالكربون المشع: ١٤٠٧ ± ٣٦ سنة (قبل ١٩٥٠).

العمر المقدر: ٦١٤– ٦٥٦م (سيجما ١، نسبة الثقة ٦٨٪)؛

---------- ٥٧٨– ٦٦٩م (سيجما ٢، نسبة الثقة ٩٥٪).

قياسات نظير الكربون المشع ١٤ أجريت بالمطياف الكتلي المتسارع وقد أوردت كذلك قيمة النظير المستقر للكربون ١٣/ الكربون ١٢، موضحة بوحدات دلتا كربون ١٣. والقيم المذكورة مصحّحة وفق معامل تصحيح – ٢٥٪ بالنسبة لدلتا كربون ١٣ مما يوضح قيمة نسبة النظير المستقر لمعدل الانحراف في كربون ١٣/ كربون ١٢ عن المعدل القياسي المعروف، بحسب النسبة الألفية. والنسبة في معظم المواد العضوية هي ٢٥ نسبة ألفية. والعمر بالكربون المشع هو عمر الكربون ١٤ التقليدي ومذكور بالسنوات (قبل الحاضر) ومعنى الحاضر المستوى الطبيعي =

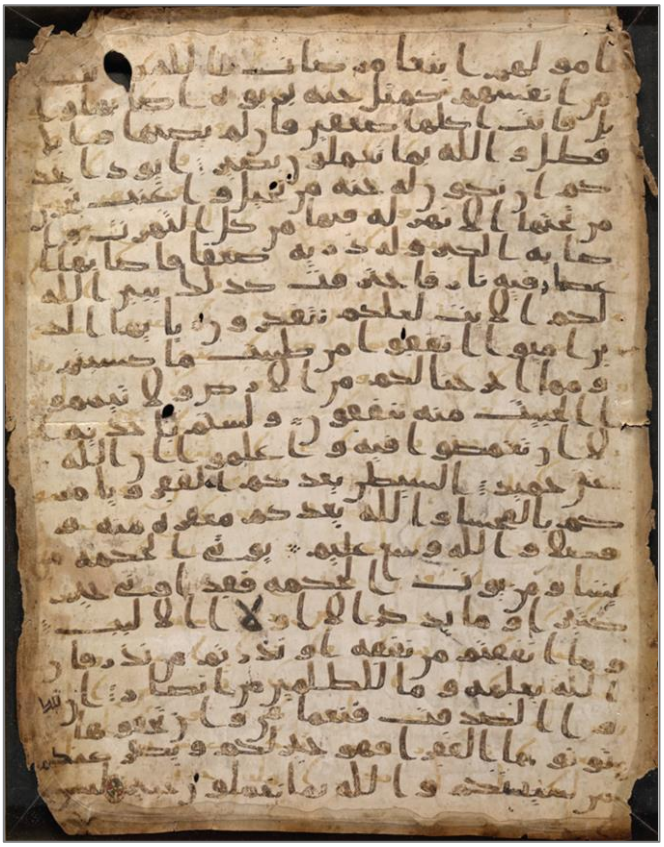

الشكل (١) وجه الورقة ستانفورد ٢٠٠٧

=

المتوقع لسنة ١٩٥٠م. ولأنّ محتوى الكربون المشع في الغلاف الجوي متغير بحسب الزمن، فمن الضروري تقدير هذه القيمة وفق مادة معلومة، وغالبًا ما تكون هذه المادة حلقات الأشجار ذات العمر المعلوم.

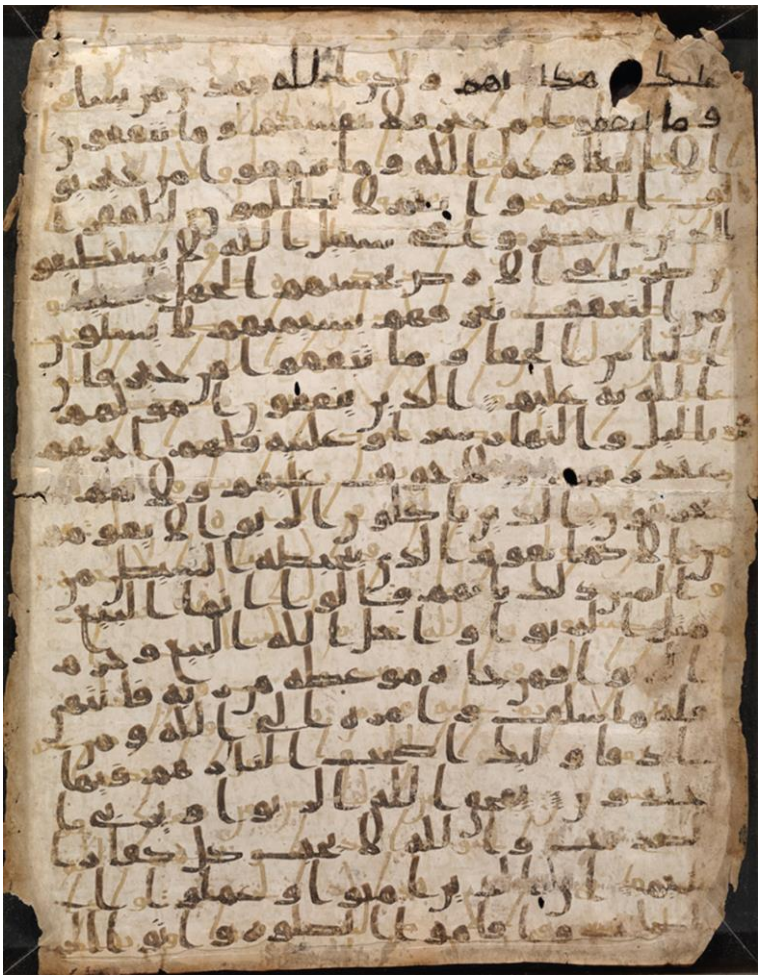

الشكل ٢: ظهر الورقة ستانفورد ٢٠٠٧

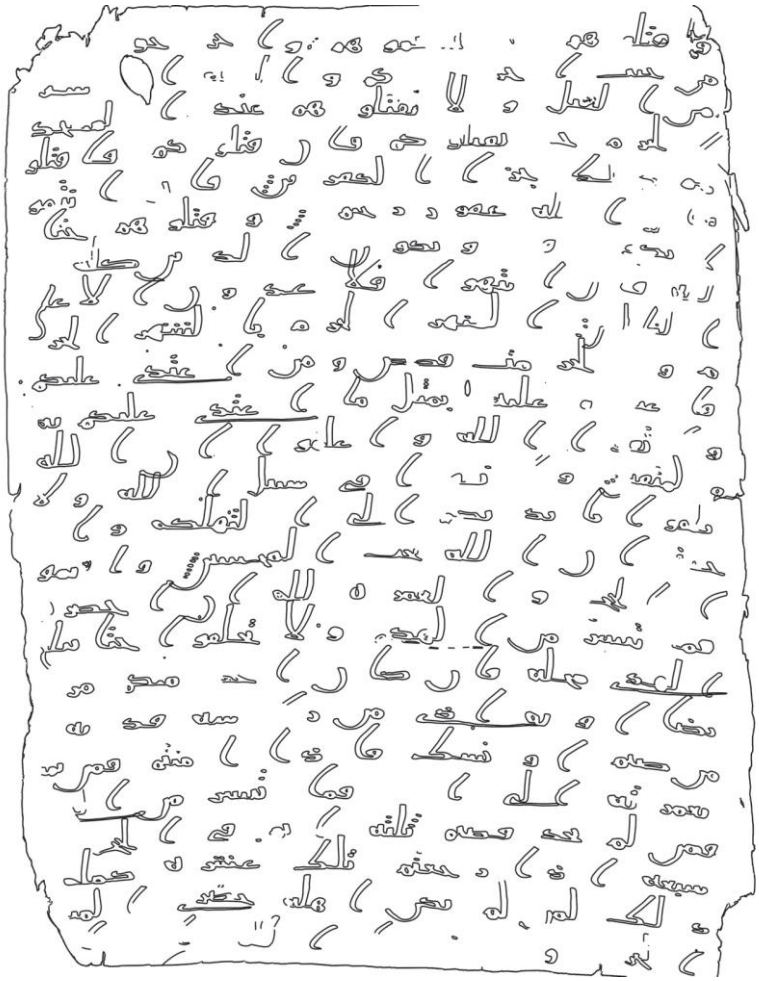

الشكل ٣: ورقة ستانفورد ٢٠٠٧، النصّ السفلي، الوجه، سورة البقرة، الآيات: ١٩١ – ١٩٦؛ أو الآيات: ١٨٨ – ١٩٣ بحسب طريقة العدّ المتبعة في الورقة نفسها.

www.Quranonlinelibrary.com

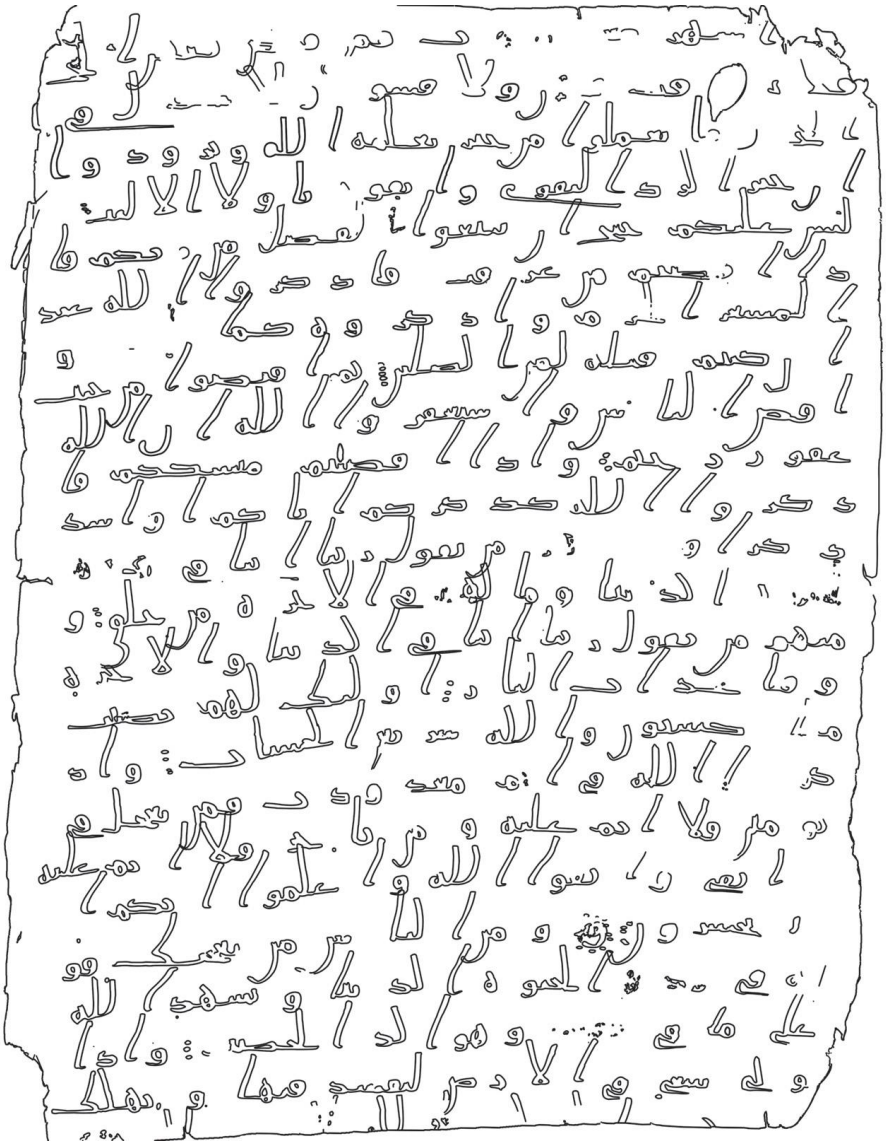

الشكل (٤): ورقة ستانفورد ٢٠٠٧، النصّ السفلي، الظهر، سورة البقرة: الآيات: ١٩٧ – ٢٠٥، أو ١٩٤ – ٢٠٢ بحسب طريقة العدّ المتبعة في الورقة نفسها.

ومع ذلك لأسباب تاريخية فإنّ الأهمية الكبرى إنما تكون للاحتمال الذي يعود بالرقّ إلى تاريخ أقدم من تاريخ آخر محدّد، وقد تم حساب هذه الاحتمالات وترِد في الجدول (١)[(١)]. وهناك احتمال بنسبة ٧٥.١٪ أو بمعدل ثلاثة إلى واحد في أن يكون تاريخ الرقّ أقدم من سنة ٦٤٦م؛ ولذا من المرجّح أن مخطوطة طرس صنعاء (١) قد كُتبت في فترة لا تتجاوز ١٥ سنة من وفاة النبي محمد.

الجدول ١ : نتائج التأريخ بالكربون المشع: يوضح الرسم البياني نسبة الاحتمال في أن يكون الرق أقدم من تاريخ ميلادي محدّد (معدل الزمن المستخدم في منحنى البيانات كلّ خمس سنوات) في حين أنّ الجدول يبين الاحتمالات لسنوات محدّدة.

(١) حصلتُ على توزيع نسبة الاحتمالات من عمر الكربون المشع ١٤٠٧ ± ٣٦ سنة (قبل الحاضر) باستخدام المنحنى المعياري IntCal 04 والبرنامج الموجود على موقع وحدة مسرع أكسفورد للتأريخ بالكربون المشع (https://c14.arch.ox.ac.uk/login/login.php?Location=/oxcal/OxCal.html). وجاءت النتائج متوافقة مع العمر المقدّر الذي أعلن عنه تيموثي جول. وبناء على ذلك حسبتُ المجاميع الجارية للحصول على احتمالات الفترات الزمنية أحادية الجانب كما هو موضح في الجدول ١.

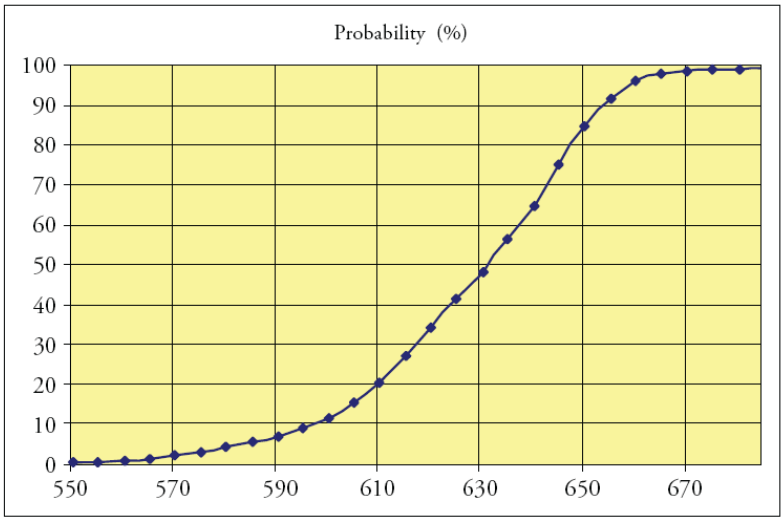

Date (AD)	Probability that the parchment is older
635.5	56.2 %
645.5	75.1 %
655.5	91.8 %
660.5	95.5 %
670.5	98.8 %
675.5	99.2 %

ويُعَدّ تاريخ الرقّ مؤشّرًا معتمدًا لتاريخ النصّ السّفلي، ومن المرجح أنّ عمر الرّق لا يسبق النصّ السفلي بسنوات كثيرة. وفي ضوء أبعاد المخطوطة فلا بد أنها من المخطوطات باهظة الثَّمَن، وقد استلزمت في صنعها قطيعًا كاملًا من الحيوانات، ومن المستبعد أن تكون الورقات المستخدمة في كتابة هذا النصّ القرآني قد أُعدّت في الأساس لغرض آخر غير الذي استعملت فيه. وفي العقود الأولى للإسلام، وهي الحقبة التي تعود إليها هذه المخطوطة، لم يكن لدى العرب الكثير من الكتب لينسخوها إلى جانب القرآن، ولا ريب أن المخطوطات المصنوعة من الرقوق ولها حجم مماثل وكتبت بالخط الحجازي هي المخطوطات القرآنية لا غير، وما كان ليتوافر عدد هائل من الورقات غير المستخدمة من هذا الحجم.

لم يكن هناك ذكر لورقة ستانفورد ٢٠٠٧ قبل أن تعلن عنها دار سوذبي في لندن سنة ١٩٩٣. وقد بِيعت ثلاث ورقات أخرى على الأقلّ من مخطوطة طرس صنعاء (١) في دور مزادات أخرى في لندن، وقد استخدمنا صور هذه الأوراق في الدراسة الحالية، والورقة التي يُفترض أن تلي ورقة ستانفورد ٢٠٠٧ في المصحف قد عُرضت في مزاد لدار سوذبي سنة ١٩٩٢ ثم ظهرتْ من جديد في مزاد دار كريستي في مايو ٢٠٠١، وظهرتْ مجددًا في معرض سام فوج[(١)]، ثم انضمّت إلى مجموعة ديفيد في كوبنهاجن حيث استقر بها المقام. وعُرضت إحدى الورقات في بونهامز سنة ٢٠٠٠ وورقة أخرى في كريستي في ٨ أبريل ٢٠٠٨[(٢)(٣)]. وهناك على الأقل اثنتان وثلاثون ورقة من مخطوطة طرس صنعاء (١) في صنعاء باليمن في مجموعة المخطوطات التي عُثر عليها في المسجد الكبير بصنعاء وتحمل رقم فهرسة (01-27.01).

---

(١) Marcus Fraser and Will Kwiatkowski, *Ink and Gold: Islamic Calligraphy*, London, Paul Holberton, 2006.

(٢) أُعلن عن ورقة ستانفورد ٢٠٠٧ لأول مرة في دليل المخطوطات الشرقية الذي نشرته دار سوذبي بعنوان: *Oriental Manuscripts and Miniatures*، سنة ١٩٩٣، انظر الصفحات ١٨- ٢٣. وبالنسبة للأوراق الأخرى انظر الدليل الصادر سنة ١٩٩٢ في الصفحات ٢٥٤- ٢٥٩، كذلك انظر:

Bonhams Knightsbridge, *Islamic and Indian Works of Art*, 2000, p. 11-4; Christie's, *Art of the Islamic and Indian Worlds*, 2008, p. 24-7.

(٣) بيعت ورقة دار كريستي بمبلغ ٤,٩٢٤٢٧٩ دولارًا لتحطم بذلك الأرقام القياسية التي حققتها المزادات العلنية للمخطوطات الإسلامية (http://www.christies.com/presscenter/pdf/04082008/144844.pdf)، تاريخ زيارة الموقع (أغسطس ٢٠٠٨).

يحدّد الجدول (٢) الورقات الواردة في هذه الدراسة، وتتنوّع جودة الصور المتاحة؛ على سبيل المثال فيما يخصّ ورقة بونهامز فقد اقتصرت على الصورة الواردة في دليل دار المزادات المطبوع، بينما زوّدتنا مجموعة ديفيد بصور فوتوغرافية عالية الدّقة. أمّا الورقات الموجودة في صنعاء، فقد نُشرت صور قليلة بدقّة منخفضة لا تفيد إلا في دراسة النصّ العلوي؛ ولهذا فسوف تقتصر دراستي للنصّ السفلي على الورقات الأربع التي بِيعت في لندن.

وقد تولّى كتابة النصّ العلوي اثنان من النسّاخ، كَتب أحدهما أول ورقتين (من ختام سورة البقرة) وكتب الثاني غيرهما. ولكلّ منهما أسلوبه المميز في الكتابة وطريقة النقط. على سبيل المثال رأينا الناسخ الأول يضع النقط على حرف التاء ويكتب (على) بالياء، بينما عمد الثاني إلى نقط حرف الياء وكتب (على) بالألِف (علا)[١].

(١) لاحظ فرانسوا ديروش أن المخطوطة التي يشترك في كتابتها ناسخان أو أكثر، لا يصعب ملاحظة أسلوب كلّ واحد المميز في وضع النقط من حيث حجمها أو في تحديد الحرف المنقوط. انظر:

François Déroche, “New Evidence about Umayyad Bookhands”, in *Essays in Honour of Salah al-Din al-Munajjid*, London, al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 2002, p. 611-42, 627.

الجدول ٢: ورقات صنعاء التي أتناولها بالدراسة:

اسم الورقة ومصدرها	النصّ العلوي	النصّ السفلي
ستانفورد ٢٠٠٧ (وهي في الأصل ورقة مزاد سوذبي لسنة ١٩٩٣).	الوجه: سورة البقرة، الآيات: ٢٦٥- ٢٧١. الظَّهْر: البقرة، الآيات: ٢٧١- ٢٧٧.	الوجه: البقرة، من الآية ١٩١ (الكلمة الأولى) إلى قرب نهاية الآية ١٩٦. الظَّهْر: البقرة، من كلمة {أَشْهُر} في الآية ١٩٧ إلى الآية ٢٠٥ (آخر كلمة مقروءة هي {يُهلِك}، وآخر كلمة يمكن استنتاجها هي {الفَسَاد}).
مجموعة ديفيد (في الأصل باسم مزاد سوذبي، لسنة ١٩٩٢)، كوبنهاجن، رقم ٨٦/ ٢٠٠٣.	الوجه: البقرة، الآيات: ٢٧٧- ٢٨٢. الظهر: الآيات: ٢٨٢- ٢٨٦.	الوجه: البقرة، الآيات: ٢٠٦ {وإذا} إلى ٢١٧ (آخر كلمة مقروءة هي {والمسجد}، وآخر كلمة يمكن استنتاجها هي: {منه}). الظهر: البقرة، الآية ٢١٧ {أكبر عند الله} إلى الآية ٢٢٣ {حرث لكم}.
بونهامز ٢٠٠٠.	الوجه: سورة النساء، الآيات: ٣٣- ٤٣.	الوجه، سورة المائدة، الآية ٤١ {يُطهِّر} إلى الآية ٤٧ {فأولئك

اسم الورقة ومصدرها	النصّ العلوي	النصّ السفلي
	الظَّهْر، النساء، الآيات: ٤٣- ٥٦.	هم}. الظَّهْر: المائدة، الآية ٤٨ {لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا} وهذه الأخيرة هي أول كلمة مقروءة تقريبًا- إلى الآية ٥٤ {الله ولا}.
كريستي ٢٠٠٨.	الوجه: سورة النساء، الآيات: ١٧١- إلى سورة المائدة، الآية ٣. الظهر: المائدة من الآية ٣ إلى ٩.	الوجه: بداية من سورة المنافقون {بسم الله الرحمن الرحيم} إلى ختام السورة، وبداية سورة الجمعة (بالبسملة إلى الآية ١١ {تجارة أو لهوًا}). الظهر: سورة الجمعة، الآية ١١ {انفضوا} إلى نهاية السورة، وسورة الفجر بداية بالبسملة؛ وسورة البلد (بداية بالبسملة إلى الآية السادسة {يقول}).
نوسيدا (١أ) صورة اليونسكو، 152255B	الأنعام، الآيات: ٤٩- ٦١.	الصورة المتاحة للمؤلِّف غير مقروءة.
نوسيدا (٢أ) صورة اليونسكو، 152254B	الأنعام، الآيات: ١٤٩- ١٥٩.	الصورة المتاحة للمؤلِّف غير مقروءة.

اسم الورقة ومصدرها	النصّ العلوي	النصّ السفلي
نوسيدا (٤أ) صورة اليونسكو، 027002B	النحل: ٧٣- ٨٩.	الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.
نوسيدا (٥أ) صورة اليونسكو، 027004B	النحل: ١٠٢- ١١٨.	الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.
نوسيدا (٨أ)، صورة اليونسكو، 152256B	سورة طه، الآيات: ١- ٢٠، ٤٣.	الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.
نوسيدا (١٤ب)، مصاحف صنعاء، ١٩٨٥، الغلاف الداخلي، صورة جزئية.	سورة القصص، الآيات: ٧٤- ٨٢، ٨٦.	سورة الحجر، الآيات: ٥٤- ٧٢.
نوسيدا (١٧أ) مصاحف صنعاء، ١٩٨٥.	سورة لقمان، الآيات: ٢٤- ٣٢، ٤.	سورة التوبة، الآيات: ١٠٣- ١١٣. الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.
نوسيدا (١٨أ) هانز كاسبر فون بوتمر، ١٩٨٧.	سورة السجدة، الآيات: ٢٠- ٣٣، ٦ (ورقة مزدوجة)	الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.
نوسيدا (٣١أ) صورة اليونسكو، 152257B	سورة الحشر، الآيات: ٢- ٥٩، ١٠.	الصورة المتاحة للمؤلف غير مقروءة.

الجدول ٣: الأيادي الأربع في مخطوطات صنعاء الأولى وفق الترتيب الزمني المقترح. ويركز البحث الحالي على الأولى والثانية فقط:

اسم اليد	معدل الاستخدام	المظهر	المداد مشتمل على الحديد والنحاس
النص السفلي	منتظم	بني فاتح	نعم
النص العلوي	منتظم	بني غامق	نعم
عنصر التعديل العلوي	عارض	أسود، خط رديء	لا
عنصر التعديل السفلي	عارض	أسود، خط ممتاز	لا

تظهر الأدلة الأدبية وغيرها من أدلة علم قراءة الكتابات القديمة عدم وجود شيء غريب فيما يتعلق بهذين الناسخَيْن أو النسّاخ الذين تعاونوا في كتابة هذا النصّ القرآني[١]. وفيما يخصّ النصّ السفلي، يبدو أن مَن كتبَه شخص

(١) للاطلاع على الأدلة الأدبية التي تؤكّد وجود تعاون في عملية النَّسْخ، انظر الخبر الذي ورد عن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت. ٩٤/ ٧١٢) وله روايتان من طريق حفيده جعفر كما ذكره أبو بكر بن عبد الله بن أبي داود سليمان السجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق: أرثر جفري، مصر، مطبعة الرحمانية، ١٣٥٥/ ١٩٣٦، ص١٦٦؛ وانظر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د. ت، (٦/ ١٦). أمّا الدليل المأخوذ من علم قراءة الكتابة القديمة فيتضمن مخطوطات مبكّرة كُتبت على يد أكثر من ناسخ. وتحظى مثل هذه المخطوطات بأهمية بالغة للمتخصّص في قراءة الكتابة القديمة؛ إذْ تدلّ على وجود قدر من التنوّع في فن الكتابة اليدوية وفي أساليب النساخ في نفس الفترة والمكان. انظر:

See François Déroche, "New Evidence about Umayyad Bookhands", p. 611-42, 629; *id.*, *La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam: Le codex Parisino-petropolitanus*, Leiden, Brill, 2009, p. 26-77; Intisar Rabb, "Non-Canonical =

واحد ولكن نحتاج إلى مزيد من الدراسة للتحقّق من هذا الأمر. والمثير أنّ الورقتين الأولى والثانية الواردتين في الجدول ٢ متجاورتان في الطبقتين العليا والسفلى.

=

Readings of the Qurʾān: Recognition and authenticity (The Ḥimsī reading)", *Journal of Qurʾānic Studies*, 8/2 (2006), p. 84-127.

الوصف الأساسي للورقات:

هناك أربع طبقات من الكتابة في طروس صنعاء الأولى، وهي موضحة في الجدول (٣)، ويمثل النصّ العلوي والنصّ السفلي على ما يبدو مصحفَيْن كاملين، وينتمي النصّ العلوي للتقليد العثماني بخلاف السفلي. كذلك فإنّ عنصر التعديل العلوي (في ورقات ديفيد وستانفورد ٢٠٠٧) يبدو خط مبتدئ غير متقن كتب فوق الكلمات التي تلاشت من النص العلوي، خاصّة قرب الحواف. أمّا عنصر التعديل السفلي (في ورقات ديفيد وستانفورد ٢٠٠٧) فقد فعل أمرين، الأول أنه كتب فوق بعض الكلمات والحروف التي تلاشت من النصّ السفلي أو لم تعاود الظهور لأنّ المداد قد زال بشكلٍ كلي نتيجة محو النصّ السفلي[١].

الأمر الثاني، في إحدى المواضع كُتب النصّ القياسي في موضع كان فيه النصّ السفلي مخالفًا. ومع ذلك، لم يكن هذان الأمران مطّرِدَيْن في كتابته، ولم يحاول طمس المواضع التي وردتْ على خلاف النصّ الأصلي القياسي. وتظهر الأدلة أنّ عنصر التعديل السُّفْلِي جاء بعد أن عاود النصّ السفلي الممحو

(١) هنا نموذج لعنصر التعديل السفلي حيث كُتب على جزء تالف أو باهت من النصّ السفلي: معظم حرف الميم في كلمة الخصام في الآية ٢٠٤ من سورة البقرة قد أُزيل ولا أثر للمداد عند استخدام تقنية التصوير بالأشعة السينية. ومع ذلك نعلم أنّ حرف الميم كان موجودًا لأن طرفها بقي مما يدلّ على وجودها من قبل. وقد كتب عنصر التعديل السفلي ميمًا كاملة في الموضع المناسب.

الظهور من جديد، وبالتالي بعد كتابة النصّ العلوي[١]. وربما كان هذا تدخلًا حديثًا مبكرًا. إذن، النصّان العلوي والسفلي هما النصّان المبكّران، ويبرز هنا سؤال حول أيهما أسبق من الآخر: عنصر التعديل العلوي أم التعديل السفلي. ويبدو أنّ عنصر التعديل العلوي أُضيف بهدف الاستمرار في استخدام المصحف رغم الكلمات التي بهتت. كذلك يبدو أنّ عنصر التعديل السفلي أُضيف في وقت لم تَعُد فيه إمكانية الاستخدام مشكلة تشغل البال؛ ولذا أتصوّر أن يكون التعديل السفلي جاء متأخرًا. ومع ذلك، هناك حاجة لمزيد من الدراسة الشاملة قبل أن نقطع بالترتيب الزمني لهذين النصّيْن. على أية حال، من بين الطبقات النصية الأربع، فإن النصّيْن العلوي والسفلي هما الأسبق، أمّا نصّا التعديل، اللذان جاءَا متأخرَيْن، فلا يشكّلان أهمية كبيرة نسبيًّا. ولهذا ينصرف تركيز البحث الذي بين أيدينا إلى النصّيْن العلوي والسفلي على وجه التحديد.

(١) لعلّ أقوى مؤشِّر على مجيء عنصر التعديل السفلي بعد النصّ العلوي أنه لم يسبق محوه قبل كتابة النصّ العلوي. وثمة مؤشّر آخر على مجيء عنصر التعديل السفلي بعد كتابة النصّ العلوي والسفلي هو اختلاف مداده من الناحية الكيميائية عن المداد المستخدم فيهما وتشابهه مع عنصر التعديل العلوي؛ إِذْ لا يشتمل على حديد أو نحاس، ولونه أسود، مما يبيّن أنه مداد معتمد على الكربون. وعلى العكس، فإنّ نوع المداد المستخدم في النصّ العلوي والسفلي يشتمل على الحديد والنحاس. وختامًا فإن أسلوب الخط في عنصر التعديل السفلي يدلّ على أنه لا يعود إلى القرن الأول والثاني الهجري. والتعديل السفلي يعطينا انطباعًا عن شخص قرأ النصّ السفلي الذي ظهر بدافع الفضول ولاحظ عرضًا وجود اختلافات بينه وبين ما يحفظه من القرآن.

وربما كان من المناسب هنا إيراد بعض الاختلافات المهمّة بين النصّ العلوي والسفلي: تكثر في النصّ العلوي علامات الشرطة الصغيرة التي تميز بين الحروف الساكنة التي تتشابه في رسمها مقارنة بالنصّ السفلي، ووجود هذه العلامات في النصّ السفلي أمر مهم وإن لم يكن مستغربًا بالكلية؛ نظرًا لأن أوراق البردي التجارية التي تعود لسنة ٢٢ هجرية/ ٦٤٢ ميلادية تشتمل على هذه العلامات[١]. وكذلك في النقوش التي تعود لسنة ٢٤ هجرية/ ٦٤٤- ٦٤٥ ميلادية[٢] فضلًا عن غيرها من المصادر الوثائقية المبكّرة[٣].

كذلك تظهر علامات الشرطة في مواضع كثيرة بميل لأعلى في النصّ العلوي وميل لأسفل في النصّ السفلي. ويشتمل النصّ العلوي على عدد كلمات أكثر في كلّ صفحة مقارنة بالنصّ السفلي. كما أنّ الطبقة العليا تستخدم علامة خاصّة للتعشير. وفي المقابل فإنّ النصّ السفلي يميز الآية رقم مائتين من سورة البقرة برمز يبدو كحرف واو تحيط بها دائرة مؤلَّفة من علامات شرطة

(1) Alan Jones, "The Dotting of a Script and the Dating of an Era: The strange neglect of PERF 558", *Islamic Culture*, 72 (1998), p. 95-103.

(2) ʿAli ibn Ibrahim Ghabban, Robert Hoyland, "The inscription of Zuhayr, the oldest Islamic inscription (24 AH/AD 644-645), the rise of the Arabic script and the nature of the early Islamic state", *Arabian Archaelogy and Epigraphy*, 19/2 (2008), p. 210-37.

(٣) هناك نقوش تعود لعصر ما قبل الإسلام وبها علامات تشكيل تميز السواكن. وللاطلاع على لائحة غير حصرية وصور لبعض هذه المصادر المبكرة التي تشتمل على علامات التشكيل، انظر:

Muḥammad Muṣṭafā l-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, 2nd ed., Riyadh, Azami Publishing House, 2008, p. 152-6.

قصيرة. وهذا الرمز يشبه المستخدم في مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية arabe 328 (a) لتمييز كلّ خمسين آية (أي عند الآية رقم ٥٠، والآية ١٠٠، والآية ١٥٠)[١]. وهناك اختلاف كيميائي بين أنواع المداد المستخدمة أيضًا.

يتميز النصّ السفلي بأشكال أخرى تجعله أكثر دقة وإتقانًا من النصّ العلوي مما يزيد من تعقيد الفرضية التي ترى أنّ كون طريقة الكتابة أكثر تطورًا معناه بالضرورة أن النصّ متأخر زمنيًّا؛ فالنصّ السفلي يشتمل على زخارف بين السور بخلاف النصّ العلوي[٢]، كذلك فإنّ النصّ السُّفْلِي يشتمل على تسميات توضيحية بين السور مثل: «خاتمة سورة المنافقين»، لكن النصّ العلوي لا تظهر فيه أسماء السور. ويأتي هذا منسجمًا مع ما ورد في المصادر الأدبية؛ إِذْ إنّ طائفة من التابعين قد كرهوا كتابة: «خاتمة سورة كذا وكذا، وفيه كذا آية»[٣]، ومن

(1) François Déroche and Sergio Noseda, *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: I Les manuscrits de style ḥiǧāzī, Volume i, Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France*, Lesa, Fondazione Ferni Noja Noseda, 1998, p. 29 (Kor 3, 100), p. 107 (Kor 6, 50), p. 116 (Kor 6, 100), p. 155 (Kor 7, 150).

(٢) حقيقة اشتمال النصّ السفلي في بعض الأحيان على علامات زخرفية بين السور قد أبرزتها شيلا بلير، في دراستها حول فن الخط الإسلامي الصادرة عن دار نشر جامعة إدنبرة، انظر:

Sheila Blair, *Islamic Calligraphy*, Edinburgh, Edinburgh University Press, 2006, p. 119.

وبالنسبة لواحدة من الورقات الموجودة في صنعاء، وتحديدًا الورقة نوسيدا (١٨أ) فإنّ هذه الفواصل التي تقسم السور موجودة كذلك في ورقة كريستي، دون غيرها من الورقات.

(٣) ابن أبي داود، المصاحف، ص١٣٧ – ١٤١.

هؤلاء إبراهيم النخعي (ت. ٩٦/ ٧١٥ في الكوفة)، وعطاء (ت. ١١٤/ ٧٣٢، مكة).

والمثير للدهشة أنّ النصّ السفلي يستخدم في بعض المواضع علامات النقط على شكل نقاط دائرية لتمييز الحروف المتحركة القصيرة (وكذلك همزة الوصل). وهذه النقاط مكتوبة بنفس المداد المستخدم في باقي النصّ السفلي، ولا يبدو أنها أُضيفت في وقت لاحق. كذلك تظهر النقاط في كلمتي {التهلكة}، {نسكٍ} في ورقة ستانفورد ٢٠٠٧ في الآيتين ١٩٥، ١٩٦ من سورتي البقرة فوق اللام الساكنة والسين، في موضع مرتفع، ولعلّ السبب في ذلك تمييز حركة الضمة. وقد وقع الخلاف فيما بعد في تشكيل هذين الحرفين؛ لذا من المستبعَد أن تكون هذه النقاط وُضعت في هذا الموضع من قبيل الصدفة. وإذا كانت الكلمتان مضبوطتين بالحركات، فلا بد أن هذا التحريك كان صعبًا عند كتابة النسخة C-1. وعلى أية حال، فإنّ تحريك الكلمات في النصّ السفلي يتّسق مع ما أصبح رأي الجمهور فيما بعد[١].

(١) للاطلاع على الخلاف في حركة هاتين الكلمتين، انظر: عبد اللطيف محمد الخطيب، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، ٢٠٠٢، (١/ ٢٦٦، ٢٦٩).

ومع ذلك، لا بد من تحليل المزيد من الورقات قبل أن نقطع بأن هذه النقاط وُضعت لغرض التشكيل وليست نقاط حِبْر سقطت على الأوراق دون قصد.

وفيما عدا هذه الاختلافات، فإنّ أسلوبَي الكتابة في الخط العلوي والسفلي متشابهان إلى حدّ كبير[١]. كما يستخدمان علامة متشابهة في نهاية الآيات على شكل عدّة شرطات؛ لكنها تأخذ شكل مثلثات في الطبقة العليا. وكلا النصّيْن لا يشتمل على المسافة الإضافية بين الكلمات، وقد تُكتب الكلمة مقسمة في آخر السطر، كما يختلف عدد الأسطر من صفحة لأخرى، كذلك فإنّ السطور نفسها ليست مستقيمة على الدوام أو أفقية تمامًا[٢]. وهناك سمة مشتركة بين الطبقتين في أسلوب كتابة {اولا الالبب} في حالة النصب بدلًا من {اولى الالبب}. وتتجلى هذه الطريقة في الكتابة في العديد من النسخ الأخرى المكتوبة بالخط الحجازي[٣].

---

(١) استنادًا إلى فحص أوّلي للخط المستخدم في النصّ السفلي والعلوي، ليس هناك شكل لحرف من الحروف المستخدمة في خط إلا وله شاهد يؤيّده في الخط الآخر، رغم ما قد يحدث من اختلاف بين الخطين في شكل كتابة نفس الحرف. وفي النصّ العلوي تُكتب الحروف بزاوية؛ من ذلك على سبيل المثال حرف النون إِذْ يظهر في بعض الأحيان بدوران ظاهر.

(٢) لوحظت هذه النقطة الأخيرة، وهي غياب الانتظام الخطي في الدليل الذي نشرته دار سوذبي عن المخطوطات الشرقية، ١٩٩٣، ص١٨ – ٢٣، ٢٢.

(٣) في بعض المصاحف الأخرى تُكتب {أولو الألباب} بألِف في حالتي الرفع والنصب، وياء في حالة الجر. انظر على سبيل المثال: مصاحف صنعاء، دار العطاء الإسلامية، المتحف الكويتي الوطني، ١٤٠٥/ ١٩٨٥، رقم ١١ (رقم =

ويختلف النصّ السفلي عن العثماني في أمرين؛ الأول أنّ الاختلافات اللفظية عن النصّ العثماني تدلّ على نوع نصّي مختلف ولهذا تنتمي إلى فرع آخر في شجرة العائلة. وعلاوة على ذلك، فإنّ القراءات المختلفة تتشابه في طبيعتها مع ما رُوي عن مصاحف الصحابة. الأمر الثاني يتمثّل في ترتيب السور؛ ففي ورقة كريستي، تأتي سورة المنافقون أولًا ثم سورة الجمعة، ثم الفجر ثم البلد، وهو ترتيب أشبه بما روي عن مصحف أُبيّ بن كعب، وسوف نناقش هذه المسألة في موضع لاحق من هذا البحث. أمّا من حيث طريقة كتابة الكلمات، فإنّ النصّ السفلي يتفق أيضًا مع القراءات المخالفة للنصّ العثماني في حالات معدودة كما يرِد في الجدول (٤)؛ ومع ذلك فإنّ القاعدة العامة أنّ هذه القراءات المخالفة لا ترِد في النسخة (C-1)، ولا حتى قراءات هذه النسخة المذكورة في المصادر؛ ولذا فلا ينبغي الربط بين النسخة C-1 والمصاحف التي نقلت المصادر الأدبية القراءات الأخرى الخاصة بها (مثل مصحف ابن مسعود ومصحف أُبيّ)؛ بل هي مصحف مستقل، ونوع نصّي مختلف وتقليد نصّي قائم بذاته.

=

الفهرسة: 29.1-00). كذلك فإن مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية arabe 328 (a) نجدها مكتوبة بالألِف في سورة آل عمران، الآية السابعة (ص١٨) وسورة الرعد، الآية ١٩ (ص٢١٣) وسورة إبراهيم، الآية ٥٢ (ص٢٢٥). وكُتبت بالياء في الآية ١٩٠ من سورة آل عمران (ص٦) وفي الآية ١١١ من سورة يوسف (ص١١٩). انظر:

Déroche, *Sources . . . arabe 328(a)*; *id., Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: I Les manuscrits de style ḥiǧāzī, Volume ii, Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library*, Lesa, Fondazione Ferni Noja Noseda, 2001.

الجدول ٤: الحالات التي تتفق فيها النسخة C-1 مع قراءة مخالفة للمصحف العثماني. وقد وضعت الكلمات المقروءة جزئيًّا بين قوسين[(١)]:

الآية	المصحف العثماني	مصحف C-1	مصحف متوافق مع C-1
سورة البقرة: الآية ٢١٧.	قتالٍ فيه {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه}[(٢)].	(وعن) قتال فيه {يسألونك عن الشهر الحرام وعن قتال فيه}.	عن قتال فيه {يسألونك عن الشهر الحرام عن قتال فيه} (قراءة ابن مسعود)[(٣)].
البقرة: ٢٢٢.	{فاعتزلوا النساء في المحيض ولا	{(فلا تقربوا) النساء في (محيضهن) حتى	{ولا تقربوا النساء في محيضهن واعتزلوهن حتى

(١) الحالات الثلاث الأولى في الجدول ذكرَتها ألبا فيديلي في دراسة لها. انظر:

Alba Fedeli, "Early Evidences of Variant Readings in Qurʾānic Manuscripts", in *Die dunklen Anfänge: Neue Forschungen zur Entstehung und frühen Geschichte des Islam*, K.-H. Ohlig & G. Puin (eds), Berlin, Verlag Hans Schiler, 2007, p. 293-316.

(٢) ترجمة الآيات القرآنية في النصّ الإنجليزي مأخوذة من عدة مصادر، تشمل الترجمات الآتية:

M.A.S. Abdel Haleem, *The Qurʾān: A New Translation*, Oxford, Oxford University Press, 2004; Arthur Arberry, *The Koran Interpreted*, London, Oxford University Press, 1983; Muhammad Asad, *The Message of the Qurʾān*, Gibraltar-London, Dar al-Andalus, 1980; Abdalhaqq Bewley, Aisha Bewley, *The Noble Qurʾān: A New Rendering of its Meaning in English*, Norwich, Bookwork, 1999; Thomas Cleary, *The Qurʾān: A New Translation*, Chicago, Starlatch Press, 2004; E.H. Palmer, *The Qurʾān: Translated by E.H. Palmer*, Oxford, The Clarendon Press,1900; Marmaduke Pickthall, *The Meaning of the Glorious Qurʾān: Text and Explanatory Translation*, Beirut, Dār al-kitāb al-lubnānī, 1971; J.M. Rodwell, *The Koran*, London, Dent, 1978; George Sale, *The Koran*, New York, Garland, 1984; Muḥammad Saʿīd Šakīr, *The Glorious Qurʾān*, Qum, Ansāṛiyān, 1998; Mawlawi Sher Ali, *The Holy Qurʾān: Arabic Text and English Translation*, 14th ed., Surrey, Islam International, 1989; ʿAbdullāh Yūsuf ʿAlī, *The Meaning of the Holy Qurʾān*, Brentwood, Md., Amana, 1991.

(٣) الخطيب، معجم القراءات، (١/ ٢٩٨).

الآية	المصحف العثماني	مصحف C-1	مصحف متوافق مع C-1
	تقربوهن حتى يطهرن}.	يتطهرن}.	يتطهرن}. (قراءة ابن مسعود ومصحف أنس. وقد اختار أُبيّ بن كعب وابن مسعود قراءة يتطهرن)[1].
المائدة: ٤٥.	{وكتبنا عليهم}.	{وكتبنا على بني إسرائيل}.	إمّا {وأنزل الله على بني إسرائيل}، أو {وأنزلنا على بني إسرائيل}، (مصحف أُبيّ بن كعب)[2].
المنافقون: الآية ٧.	ينفضوا	ينفضوا من حوله	جاءت الآية في حديثٍ بنفس القراءة الواردة في النسخة C-1.

النقطة الأخيرة في الجدول (٤) في غاية الأهمية لأنّ النسخة C-1 تطابق مصحف غير معروف وردت الإشارة إليه في حديث زيد بن أرقم. وقد رواه خمسة من الرواة من طريق إسرائيل بن يونس بن إسحاق (ت. ١٦٠- ١٦٢)

(١) نفس المرجع، (١/ ٣٠٨- ٣٠٩).

(٢) الخطيب، معجم القراءات، (٢/ ٢٧٩).

عن أبي إسحاق السبيعي (عمرو بن عبد الله، ت. ١٢٧ بالكوفة) عن النبي. وفي هذا الخبر يتناول زيد الملابسات ومناسبة نزول الآية السابعة من سورة المنافقون، ويقتبس الآية، وجاء في اقتباسه عبارة {من حوله} الموجودة في المصحف C-1 على خلاف النصّ الإمام المعتمد[١]. ومعنى هذا أن أحد الرواة قرأ الآية بهذه الزيادة.

وقد لاحظ سيرجيو نوسيدا أنّ النصّ السفلي مخالف للرسم العثماني، وكذلك ياسين دتون وألبا فيديلي[٢]. وفي سنة ٢٠٠٧ نشرت فيديلي تقريرًا عن ورقتين (ديفيد وبونهامز). وأوردت فيه عددًا من القراءات المهمّة وتشير إلى

---

(١) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، المسند، لبنان، دار صادر، (٤/ ٣٧٣)؛ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، د. ت، دار الفكر، ١٤٠١/ ١٩٨١؛ (٦/ ٦٣- ٦٥)؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، (٨/ ١١٩)؛ الترمذي، أبو عيسى محمد ابن عيسى، سنن الترمذي، الطبعة الثانية، د. ت، دار الفكر، ١٤٠٣/ ١٩٨٣، (٥/ ٨٨)؛ النسائي، أحمد بن عليّ بن شعيب، السنن الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١/ ١٩٩١، (٦/ ٤٩٢)؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، (٢/ ٤٨٨)؛ الطبراني، سليمان ابن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي عبد المجيد، د. ت، دار إحياء التراث العربي، (٥/ ١٨٦، ١٨٩)؛ وانظر أيضًا: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ، فتح الباري، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة، (٨/ ٤٩٤)، حيث يردّ قولَ مَن استدل بهذا الحديث على أن عبارة: {من حوله} ذُكرت في المصحف.

(2) Sergio Noseda, "La Mia Visita a Sanaa e il Corano Palinsesto", *Istituto Lombardo (Rendiconti Lett.)*, 137 (2003), p. 43-60; Anonymous, "'The Qur'an: Text, interpretation and translation' 3rd Biannual SOAS Conference, October 16-17, 2003", *Journal of Qurʾānic Studies*, 6/1 (2003), p. 143-5

(ويشير إلى بحث دتون بعنوان: Three Possibly pre-ʿUthmānic Folios of the Qurʾān

وانظر أيضًا: Fedeli, "Early Evidences", p. 293-316. ;

www.Quranonlinelibrary.com

القراءات الثلاث الأولى الواردة في الجدول (٤). وبخلاف ذلك، فقد اتسمت معالجتها بشيء من عدم الدقة[١]، كما أنها أخطأت في قراءة النصّ في موضع، لتستنتج من ذلك وجود سقط في ورقة بونهامز وتوظِّف هذا في القول بأن النصّ العثماني نشأ نتيجة إضافة مقصودة استدعتها المخاوف الدينية السياسية[٢].

(١) في أحد المواضع تشير ألبا فيديلي إلى «النصّ العثماني الذي أصبح النصّ المعتمد منذ عام ١٩٢٤»، (انظر: Early Evidences", p. 306). ولأنّ مصحف عثمان هو المعتمد منذ ١٢٦٨ سنة سبقت هذا التاريخ، فيبدو أنها تقصد شيئًا آخر، ألا وهو الطبعة المصرية. وفي صفحة أخرى (ص٣١٥) تقول إنّه في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أصبح النصّ العثماني هو المعتمد، وهذا خطأ. وهنا يبدو أن المؤلِّفة تخلط بين اعتماد ابن مجاهد للقراءات العثمانية (مقابل قراءات عثمانية وغير عثمانية) وبين جمعِ المصحف في زمن عثمان (مقابل المصاحف الأخرى غير العثمانية). وهناك إشكاليات أخرى كما يتضح في الهامش التالي.

(٢) تظن فيديلي أن عبارة: {عن دينه} في الآية ٢١٧ من سورة البقرة غير موجودة في النصّ السفلي وتبني نظريتها على هذا الأساس فتقول إنّ العبارة أُضيفت عن قصد لمصحف عثمان؛ وهذا خطأ، أولًا: لم تنتبه إلى الجزء السفلي الجلي من حرف النون في كلمة {عن} الذي بقي رغم تلف الرّق؛ لذا فإن عبارة: {عن دينه} وردت في النصّ. (كما أنّ {عن دينه} موجودة كذلك في ورقة بونهامز ٢٠٠٠ في الآية ٥٤ من سورة المائدة). ثانيًا: الجملة كلها: {ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر} غير مقروءة بسبب تلف الرقّ؛ ولهذا لا يتضح لنا كيف استنتجت عدم وجود {عن دينه}. ويحتمل أن تكون استنتجت هذا لأنّ صاحب التعديل السفلي كتب عبارة {عن دينه} مما جعلها تظنّ أنها لم تكن موجودة في الأساس، ولكن مَرّ معنا من قبل في الهامش رقم (١)، ص٣٠، أن التعديل السفلي أحيانًا يضع كلمات تسد الفجوات التي نشأت عن عملية محو تعذّر إصلاحه. ولهذا يمكن القول أنّ {عن دينه} كانت جزءًا من النصّ السفلي ولكنها انمحت ثم جاء صاحب التعديل السفلي فأعاد كتابتها مرة أخرى. ثالثًا: حتى لو كانت العبارة غير موجودة هنا، فليس هناك ما يدعو للقول بأن صياغة الكلمات بالطريقة العثمانية كانت متأخّرة مسبوقة بطريقة أخرى. واختيارها هنا وافتراض التغيير المتعمد ربما يشير إلى شيء من آثار عقلية المؤامرة. رابعًا: السيناريو الذي تقدمه فيديلي لبيان الدافع وراء إضافة {عن دينه} غير واضح بصورته الحالية. انظر دراستها بعنوان: Early Evidences، ص٣١٤.

إنّ النصّ العلوي عثماني قولًا واحدًا، وتظهر فيه الاختلافات المعهودة التي خرجتْ عن النصّ القياسي وجاءت نتيجة طبيعية لعملية النقل الكتابي. وأنتقلُ الآن للحديث عن التقليد النصِّي العثماني وموقع النصّ العلوي منه.

المبحث الثاني: التقليد النصّي العثماني والنصّ العلوي في طرس صنعاء (١):

ما الذي نعرفه عن مصحف عثمان؟

هناك عدد كبير من المخطوطات القرآنية التي تعود للقرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني، وهي متفرّقة في أنحاء مختلفة من العالم في المكتبات والمتاحف والمساجد والمقتنيات الشخصية. وفيما عدا النصّ السفلي في طرس صنعاء (١)، تنتمي جميع هذه المخطوطات إلى التقليد النصِّي القياسي، ويُسمّى العثماني بحسب ما تقول الرواية التقليدية عن تاريخه وأنه جُمع في عهد عثمان بن عفان أحد صحابة النبي محمد والخليفة الثالث الذي حكم الإمبراطورية الإسلامية في الفترة من سنة ٢٣ إلى ٣٥ هجرية/ ٦٤٤- ٦٥٦ ميلادية. وتذكر الروايات أنّ عثمان وزّع هذا المصحف على الأمصار قرابة سنة ٦٥٠ ميلادية فبعث بنسخة إلى الكوفة والبصرة ودمشق وأبقى نسخة عنده في المدينة[١].

ما مبلغ الصحة في الرواية التقليدية حول توزيع عثمان للمصحف الإمام؟ لا تخلو الأخبار التي حشدتها المصادر الأدبية عن التاريخ المبكّر للمصحف من إشكالات؛ إِذْ تنطوي على تناقضات جلية وفجوات في بعض النواحي التي تتعلّق بما حدث قبل توزيع عثمان مصحفه على الأمصار، ومع ذلك هناك

(١) لمعرفة تاريخ هذا الحدث، انظر ما مرّ معنا في مطلع الدراسة أعلاه في الهامش رقم (١)، ص٧.

عناصر محدّدة تتعلّق بعملية التوزيع نفسها يمكن التحقّق منها، وثمة أمران على الأقلّ نعرفهما؛ الأول: أنه لا شكّ في أن عثمان هو مَن تولى جمع المصاحف في مصحف واحد بتوزيعه على الأمصار. والثاني: أن هناك سببًا قويًّا يدعونا للاعتقاد بأنّ النصّ الذي جمعه هو نفسه الذي تناقلته المصادر على الأقلّ فيما يتعلق بجانب الرسم والوحدات الصرفية القرآنية (بمعنى أن هذا لا يشمل الاختلافات في أساليب الإملاء).

ولا تعتمد معرفتنا لهذه الأُسس على مجرد التسليم بصحة الآثار المروية. أمّا القول بأن عثمان هو مَن تولّى جمع القرآن في مصحف إمام، فنلحظ أمرين؛ الأول منهما جاء في ملاحظة عارضة أبداها حسين مدرسي عن الذاكرة الجماعية للرعيل الأول. أمّا الثاني فمستوحى من دراسات حديثة أجراها مايكل كوك وآخرون أثبتت صدق الأدبيات المتعلّقة بالقراءات وإمكانية الاعتماد عليها. وفيما يتعلق بالمقترح الثاني الذي يرى أن النصّ العثماني بمكوناته الصرفية ورسمه هو نفسه ما تناقلته المصادر فنشير هنا إلى النتائج التي توصّل إليها كوك[١]. ويمكننا أن نضيف إليها الدليل الظرفي الذي تقدّمه الدراسة الحالية؛ إِذْ إن التحليل النصِّي يكشف لنا نقل النصّ العثماني للنموذج النبوي

(١) مقالة كوك مترجمة للعربية، ترجمة: مصطفى الفقي، بعنوان: (مصاحف الأمصار، قراءة في المصاحف المنتسخة في صدر الإسلام)، وهي منشورة على قسم الترجمات بموقع تفسير ضمن هذا الملف (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة). (قسم الترجمات).

الأصلي بصورة أفضل مما عليه المصحف C-1، ومع هذا فإنّ النصّ السفلي يعود لتاريخ سابق على سنة ٦٥٦م، ويُحتمل أنه يعود لفترة تُقدَّر بخمس عشرة سنة بعد وفاة النبي؛ ولهذا فإنّ طريقة كتابة كلمات المصحف العثماني أقدم من مصحف آخر يعود لعصر الصحابة[١].

كيف للمرء أن يعلم إذا كان عثمان هو من وزّع المصاحف على الأمصار؟ يتعلّق الجواب بالذاكرة الجماعية. فمع نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجري كان هناك اتفاق على تلقّي الأمصار النصّ الإمام من عثمان[٢]. ولم تكن هذه الأمصار وحدها التي لديها تلك الذاكرة الجماعية، وإنما المجتمعات الدينية المختلفة، والتي كانت في بعض الأحيان متناحرة، بما في ذلك الشيعة والخوارج، ولم يحدث أنْ عَزا أيُّ طرفٍ المصحفَ الإمام إلى مصدر آخر غير

---

(١) لا يعتمد رأيي حول عثمان على الآثار المروية، ولأغراض تتعلّق بهذه الدراسة أتحفّظ على الحكم على صحة الآثار ما لم يعضدها دليل آخر. ومع ذلك فإنّ عدد الأخبار التي تتناول نشأة الجمع العثماني بشكل مباشر أو غير مباشر ضخم، وكلّ خبر منها جدير بتحليل مفصّل. وللاطلاع على دراسة لأحد هذه الأخبار، يمكن الاطلاع على المرجع الآتي:

Harald Motzki,"The Collection of the Qurʾān: A Reconsideration of Western Views in Light of Recent Methodological Developments", *Der Islam*, 78 (2001), p. 1-34.

(٢) كلامي عن الذاكرة الجماعية للمجتمعات الأولى مستوحى من دراسة حسين مدرسي، انظر:

Hossein Modarressi, "Early Debates on the Integrity of the Qurʾān: A Brief Survey", Studia Islamica, 77 (1993), p. 13-4.

وثمة رأي مخالف لفريد دونر، وإن كان لا يختص بالجمع العثماني للقرآن، انظر:

Fred Donner, Narratives of Islamic Origins, Princeton, NJ, Darwin Press, 1998, p. 26-8; Hugh Kennedy, The Prophet and the Age of the Caliphates, New York, Longman, 1986, p. 357.

www.Quranonlinelibrary.com

عثمان. ولم ينسبها العلويون إلى عليّ، حتى مَن رَوى القراءات المختلفة التي وردت في المصاحف غير العثمانية (مثل مصحف ابن مسعود) لم ينازعوا في أنّ عثمان هو مَن تولى هذا الأمر[(١)].

اختلفت الآثار المروية حول تاريخ النصّ القرآني قبل توزيع عثمان مصحفه على الأمصار، لكن لم يشكّك أيٌّ منها في أن عثمان هو مَن تولّى هذا الأمر. ومن غير المتصوّر أن يكون أحد الخلفاء الأمويين هو الذي جمع القرآن في المصحف الإمام. وافتراض ذلك يستوجب تفسير أمرين؛ أحدهما كيف

(١) جاء في كتاب (تاريخ المدينة) لابن شبة النميري (طبعة دار الفكر، قمّ، ج١، ص٧- ٨) أنّ الحجّاج (ت. ٩٥/ ٧١٤) الذي ولي الكوفة في الخلافة الأموية كتب المصاحف، ثم بعث بها إلى الأمصار، وجاء في هذا الخبر لمّا استُخلف المهدي بعث بمصحف إلى المدينة، وينصّ الخبر بوضوح على مصحف عثمان. ومصحف الحجّاج ينتمي إلى التقليد النصِّي العثماني، ويتضح هذا من الخبر البصري الذي يذكر الأحرف الأحد عشر التي غيرها الحجاج في المصحف، وتسعة منها تقتصر على حرف مفرد (انظر: ابن أبي داود، المصاحف، ص٤٩- ٥٠). ولا تخرج هذه الاختلافات عن السياق الطبيعي المتوقع في تقليد نصِّي، وعند دراستها دراسة دقيقة يتضح لنا أن راوي هذا الخبر البصري يفترض أن نسخة بصرية محدّدة تنتمي إلى النوع النصِّي القياسي هي التي تمثّل النصّ الأصلي الذي وزّعه عثمان على الأمصار؛ ولذا يفترض ببساطة أنّ الاختلافات الأحد عشر في مصحف الحجاج ما هي إلا تغيير أدخله هذا الوالي البغيض. وعلى أية حال فليس هناك أيّ احتمال في أن يكون الحجّاج قد قضى على جميع أشكال التقليد النصِّي العثماني الأخرى خاصّة خارج العراق، وليس هناك دليل على أنه حاول هذا الأمر سواء في العراق أو خارجه، لكن ثمة دليل على أنه لو أقدم على هذا الأمر لكان مصيره الفشل، ويتجلى هذا في الأخبار الإسلامية التي تناولَت لجوءَه إلى القوّة والإكراه فيما يخصّ النوع النصِّي لمصحف ابن مسعود. وعلاوة على ذلك، لم يحدث خلط بين مصحفه ومصحف عثمان. كذلك ينبغي للمرء أن يردّ ما ذهب إليه نفر من الشيعة في أن المواضع التي أشار فيها الله إلى عليّ قد أُزيلت من القرآن، وكذلك ما قيل في صدر الخلافة العباسية (ونقله عبد المسيح الكندي) بشأن الإشارات الصريحة إلى الخلافتين العباسية والأموية. وأعتزمُ تناوُل هذه المسائل في دراسة مستقلّة مفصّلة حول دَور الحجّاج.

استطاع الأمويون محو إجراء كهذا طال الإمبراطورية الإسلامية في جميع أرجائها من ذاكرة الناس في مختلف الأمصار والقبائل والطوائف وقد وصَلَتْنا أخباره المتواترة، وكيف أمكن غرس صورة خاطئة عن عثمان في أذهان الناس ومِن بينهم مَن شايعوا عليًّا وفضّلوه على عثمان؟

بالطبع يمكن أن يعتنق فئام من الناس معتقدات خاطئة، لكن هناك حقائق ذات طبيعة عامة يُتوقع أن يعرفها الناس. على سبيل المثال، يعلم الناس يقينًا في زمان من الأزمنة مَن الملك أو الخليفة الذي يحكمهم، كذلك فإنّ جمع القرآن في مصحف واحد هو أمر من الطبيعي أن يدركه الناس في الأمصار، وتخيلوا معي أنّ مصرًا من الأمصار يتلقى مصحفًا من الخليفة ليحلّ محلّ ما لدى الناس من مصاحف، ألا يكون هذا حدثًا عامًّا يعلم به عموم الناس، وشأنًا مهمًّا يكون مدار حديثهم ويدور على ألسنتهم. ولا شَكّ أن هذا المصر سيعلم أهله أيَّ خليفة أرسل هذا المصحف. والآن، أطلِقوا العِنان لمخيلتكم، لنفترض أن هذا الخليفة الذي جمع القرآن في مصحف إمام واحد هو عبد الملك، فالسؤال الذي يطرح نفسه: كيف أمكنه أن يُقنِع الجميع أنهم لم يتلقّوا المصحف رغم أنهم يعلمون يقينًا أنهم تلقّوه؟ كيف أقنع حتى الأقوام الذين مالوا إلى الثوّار أو لم يبالوا كثيرًا بأمر عثمان؟

وإذا افترضنا أنّ عملية الذاكرة الجماعية التي شملت مختلف الأمصار والطوائف والقبائل تغيّرت بمرور الوقت وأحلّت اسم عبد الملك محلّ عثمان،

فعندها يكون من المستحيل أن نفسّر السبب وراء تغيّر ذاكرة كلّ هذه الأمصار والطوائف والقبائل والأفراد بنفس الصورة تمامًا. هذا مع ما عُرِف عن الأمويين من غياب المركزية بشكلٍ نسبي والتصدّي باستمرار للتمرّد والثورات، مما جعلهم تحت وطأة الرغبة في بسط سلطتهم السياسية على البلاد. ولم تحاول دمشق أن تتدخّل في كلّ صغيرة وكبيرة في فرض التصوّر الديني في عموم الإمبراطورية، وحتى لو حاولتْ فلم يكن بمقدورها أن تنجح في خلق إجماع ينقض إجماعًا سابقًا، وحتى في الأوقات التي اتجهت فيها إلى إدارة مركزية في عهد الخليفة العباسي المأمون، فإنّ محاولة فرض مسألة عقدية معيّنة قد باءت بالفشل. إنّ اختلاق الأسانيد بأثر رجعي وإعادة تصوير الأحداث بشكلٍ تنقيحي هو أمر شائع في التناول القديم والمعاصر على حدّ سواء للتاريخ، بيدَ أن هذا الاختلاق لم يكن لينجح في أنْ يغيّر -بلا أدنى معارضة تُذكر- ما كان معرفة عامة في العديد من الأمصار التي صارت ملاذًا لفئات متناحرة أو متمرّدة. وتتضح هذه الملاحظة بصورة أكبر حين يدرك المرء أنّ كلّ مصرٍ من هذه الأمصار قد اختار لنفسه مسلكًا مميزًا في غالبية المسائل الفقهية، والاختلاف المعتاد بين هذه الأمصار يُظهر قدرًا كبيرًا من التطور الديني المستقل إبّان القرن الأول الإسلامي.

وإذا كان الدليل الأول يتعلّق بالذاكرة الجماعية حول حدث تاريخي بالغ الأهمية فإنّ دليلي الثاني يختصّ بالذّاكرة الفردية لتفصيلات وأحداث ثبتت

صحتها مؤخّرًا؛ فإنّ ذاكرة المجتمعات المختلفة لا تقتصر على مصدر المصاحف القرآنية فقط، وإنما ثبتت عدّة طرق مختلفة في قراءة هذه المصاحف اختلفت من عالِم لآخر ومن مصرٍ لمصر. وشرع العلماء في توثيق هذه الطرق من خلال جمعِ وتصنيف الاختلافات في القراءة والكتابة، والاختلاف في طريقة تقسيم الآيات في السور (أي مواقع الفواصل بين الآيات)؛ وتُوِّجَت هذه الجهود بظهور فنّ القراءات. وقد دُوِّنت كتب هذا العلم في مرحلة متأخّرة عن الفترات الزمنية التي تناولَتْها، اعتمادًا على الأخبار التي تناقلها الناس جيلًا بعد جيل. ومع ذلك أظهر البحث العلمي أنّ هذه الدراسات في تناولها لتفاصيل الاختلافات النصية والقراءات تكون دقيقة بشكلٍ كبيرٍ عند الحديث عن المرحلة الزمنية التي تشمل القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني. (بالطبع لا يلزم من هذا عدم وقوع أخطاء في النقل في هذا العلم أو أنه اشتمل على كلّ ما حدث في هذه الحقبة المبكّرة).

وإذا كان علم القراءات يحظى بمصداقية كبيرة فيما يخصّ التفاصيل، فإنّ هذا سبب آخر للقبول بالمصداقية التاريخية للإطار العام الذي ينطلق منه. وإذا أردنا تشبيهًا غريبًا لكنه مناسب في هذا الصّدد؛ فلنا أن نتخيّل شخصًا يدّعي وجود غوريلا تزن ٨٠٠ رطل في إحدى الغرف، فمن غير المنطقي القول بأنّ دعواه صحيحة بشكلٍ كبيرٍ فيما يخصّ خصائص هذا النوع من الرئيسيات، ولون فروه، وحجم أصابعه، وغير ذلك، لكنها مخطئة في وجوده من الأساس. ويمكن أن يضع

www.Quranonlinelibrary.com

المتشكك الدوغمائي هذا السيناريو ويصوّر إمكانية حدوثه لكنها لن تكون أبدًا النتيجة الطبيعية. ومن نفس المنطلق، فإنّ الطريقة الطبيعية في شرح السبب في دقّة فنّ القراءات في العديد من تفاصيله وجزئياته أن نقبل بحقيقة الفرضية الأساسية له في أنّ التقليد النصِّي القياسي يعود إلى عثمان. على سبيل المثال من الصعب أن نتخيّل إمكانية أن يتذكر الناس بشكلٍ دقيق مصاحف الأمصار الأُولى على مستوى الكلمات الفردية كما بَيّن كوك، لكنهم يخطئون في اسم الخليفة الذي تولّى توزيع هذه المصاحف على الأمصار. وهذا أشبه بما لو قلنا أنّ التراث حفظ لنا على نحو دقيق جميع تفاصيل معركة الثغرة في الحرب العالمية الثانية، لكنه عزا هذه الواقعة إلى الحرب العالمية الأولى.

ومن بين الدراسات الحديثة التي أقرت بمصداقية علم القراءات، هناك دراستان تحظيان بأهمية خاصّة في ضوء الدراسة الحالية؛ دراسة مايكل كوك، ودراسة ياسين دتون. وقد أجرى كوك تحليلًا للاختلافات الستة والثلاثين بين المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، وهي المصاحف الأصلية مقارنة بالنُّسَخ الأخرى التي انبثقت منها[1].

ولا بد أن هذه الاختلافات وقعتْ في المدينة عند نسخ النصوص بعضها من بعض قبل توزيعها على الأمصار، وتشتمل على تغييرات طفيفة في الرسم

(1) Michael Cook, "The Stemma of the Regional Codices of the Koran", *Graeco-Arabica*, 9-10 (2004), p. 89-104.

يختلف معها النطق، وعادة ما يكون بتغيير كلمة (وهو ما أشير إليه بتغييرات في الوحدات الصرفية والرسم) في مقابل التغيير في طريقة إملاء الكلمة، وعادة لا يكون هناك أيّ تغيير في المعنى؛ على سبيل المثال، ما جاء في سورة الأعراف في الآية الخامسة والسبعين؛ ففي مصحف أهل الشام نجد كلمة {وَقال}، أمّا في بقية المصاحف {قال}. وفي حالات قليلة يتأثر المعنى قليلًا؛ على سبيل المثال، في مصحف الشام {يَنْشُرُكُم} في الآية الثانية والعشرين من سورة يونس، في حين نجدها في سائر المصاحف الأخرى {يُسَيِّرُكُم}.

ودراسة مايكل كوك لاختلافات الوحدات الصرفية والرّسم التي ميّزت المصاحف العثمانية وفقًا لما يراه العلماء الأوائل قد أتاحت له إعادة بناء علاقات النسب بين هذه المصاحف. وتتقيّد الاختلافات بين الأمصار بأنماط منتظمة؛ فعلى سبيل المثال نجد أنّ مصحف المدينة لا يشتمل على قراءة مخالفة ينفرد بها عن غيره، في حين يشترك مع مصحف أهل الشام في بعض القراءات، ومع مصحف البصرة في اختلافات أخرى، ولكنه لا يشترك مع مصحف الكوفة فيما يخالف مصحف الشام أو البصرة[١]. وعند وضع هذه الأنماط في الاعتبار، فإنّ النتيجة التي نخرج بها أنّ مِن بين ما يزيد على مائة شجرة لانتقال النصّ توضح المصحف الذي نُسخت منه مصاحف أخرى،

(١) نفس المرجع، ص٩٢- ٩٣.

هناك مجموعة وثيقة الصِّلة ببعضها تناسب المعطيات التي لدينا وتتفاوت فيما بينها فبعضها أقرب احتمالًا من بعض[١].

ومن جهة فإنّ الانتظام ودرجة التكرار الكبيرة لهذه الأنماط تحتاج إلى تفسير آخر غير محض المصادفة، ومن جهة أخرى يصعب تفسير اتفاق النصوص مع مجموعة محددة جدًّا من أشجار النسب إن لم يكن ذلك نتيجة انبثاقها من إحداها. ويرفض كوك على نحو منطقي احتمالية أن تكون أوصاف هذه المصاحف موضوعة وذلك ببيان أن اختلافات الأمصار الأربعة لا تدلّ على وجود فروقات نصّية متناظرة (Cross-contamination). فإن إبرازها بمظهر يخلو من هذا التناظر في الاختلافات يتطلّب مهارات لم تكن لدى العلماء، وخاصّة معرفة منطق شجرة انتقال النصّ[٢]. ويستخلص كوك من هذا أنه يتوجّب علينا التعامل مع حقيقة نقلٍ أصيل من نموذج أوّلي[٣]، وبهذا تظهر صحة الأخبار التي تناولَت مصاحف الأمصار.

(١) نفسه، ص١٠٣.

(٢) نفسه، ص١٠٣- ١٠٤.

(٣) نفسه، ص١٠٤.

وصحة المعلومات المتلقّاة من الناحية التاريخية هي بدورها «شهادة على صحة نقل القراءات والاختلافات»[١] الواردة في كتب القراءات. (وفي موضع آخر يخلص إلى نتيجة إيجابية مشابهة حول صحة ما أوردته المصادر الأدبية في وصف المصحف الشخصي لأحد المعاصرين لعثمان)[٢].

وإذا كان توثيق مايكل كوك لاختلاف القراءات قد نجمَ عنه تحليل لأنماط الاتفاق والاختلاف بينها، فإنّ ياسين دتون وعددًا من العلماء الآخرين اتجهوا

---

(١) نفسه، ص١٠٣.

(٢) درس مايكل كوك ومحمد مصطفى الأعظمي نسخة من القرآن تعود إلى مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني (ت. ٧٤/ ٦٩٣). وقد عرضها حفيده مالك بن أنس (٩٤- ١٧٩/ ٧١٢- ٧٩٥) على تلامذته الذين أقروا بتطابقه مع مصحف المدينة حتى سورة غافر ثم مع مصحف البصرة. وقد استُخدمت الفضة في زخرفة هذا المصحف علاوة على وجود فواصل سور زخرفية بالمداد الأسود، وفواصل آيات على شكل نقاط. ويرى مالك بن أنس أن هذا المصحف قد نُسخ بعد أن جمعَ عثمانُ القرآنَ. وفي محاولة لتوضيح سبب هذه الطبيعة المركّبة للمصحف يرى كوك احتمالية أن يكون قد تعرّض للتلف في مرحلةٍ ما ثم أُعيد نَسْخ الخُمس الأخير فيه من مصحف وصل إلى المدينة من أيّ مكان آخر، وهذا السيناريو أكثر تعقيدًا مما يلزم. وقد كان مالك بن عامر أحد النسّاخ الذين شاركوا في مشروع الجمع العثماني؛ ولذا كان بمقدوره الوصول لهذه المصاحف قبل إرسالها للأمصار، فلو أنه أعدّ نسخة خاصّة به قبل توزيع المصاحف، لكان عليه أن يقصد الموضع الذي حُفظت فيه المصاحف، وليس هناك مبرر يجعلنا نقول إنه تعمّد في كلّ مرة اختيار نفس المصحف لإتمام عملية النسخ. انظر:

Michael Cook, "A Koranic Codex Inherited by Mālik from his Grandfather", in *Proceedings of the Sixth International Congress on Graeco-Oriental and African Studies, Graeco-Arabica*, ed. Vassilios Christides and Theodore Papadopoullos, VII-VIII, Nicosia, 7-8 (1999-2000), p. 93-105; al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 97-8, 170-2.

إلى مقارنة ما جاء في كتب القراءات بأدلّة خارجية ممثّلة في المخطوطات[١]. على سبيل المثال، فإنّ الاختلافات الخاصّة بالمصحف العثماني الموجود في المكتبة البريطانية -الذي يُعَدّ واحدًا من أُولى المخطوطات المعروفة- تشير تحديدًا وبشكلٍ متكرّر إلى نظام القراءة المتّبع في حمص، وهي مدينة في شمال دمشق[٢]. ويُستبعَد أن يكون التطابق بين نصّ الورقات القديمة والخصائص المنسوبة إلى طريقة حمص في القراءة كما وردت في علم القراءات هو من قَبِيل الصدفة المحضة، تمامًا مثلما هو مستبعَد أن تتطابق قطعتان تم اختيارهما عشوائيًّا في أُحجية الصور المقطّعة. ويقدّم هذا التطابق نوعًا من الدعم والتأييد المتبادل شبيه بالقِطَع المجمّعة من الأُحجية بحيث تلقي كلّ قطعة الضوء على الأخرى، فالمخطوطة تخبرنا أن قراءة حمص المذكورة في علم القراءات

(1) Rabb, "Non-Canonical Readings", p. 84-127; Yasin Dutton, "An Early *Muṣḥaf* According to the Reading of Ibn ʿĀmir", *Journal of Qurʾānic Studies*, 3/1 (2001), p. 71-89; *id.*, "Some Notes on the British Library's 'Oldest Qurʾān Manuscript' (Or. 2165)", *Journal of Qurʾānic Studies*, 6 (2004), p. 43-71; *id.*, "An Umayyad Fragment of the Qurʾān and its Dating", *Journal of Qurʾānic Studies*, 9/2 (2007), p. 57-87.

(٢) انظر: Dutton, "Some Notes"; Rabb, "Non-Canonical Readings".

وكِلا المرجعين مذكور في الهامش الأخير. وتقدّم انتصار رب مجموعةً من التصويبات لدراسة دتون.

(والدراسة المشار إليها لياسين دتون، مترجمة للعربية، ترجمة: د/ حسام صبري، بعنوان: «بعض الملاحظات على أقدم مخطوطة للقرآن في المكتبة البريطانية»، ومنشورة ضمن ملف (تاريخ القرآن) على قسم الترجمات بموقع تفسير، وجدير بالذِّكْر أن هذه الدراسة سيتم إعادة نشرها ضمن هذا الملف (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة). (قسم الترجمات).

تحتفظ بالمعلومات الأصيلة عن الفئات الأُولى للمخطوطات، وبدوره يخبرنا علم القراءات أنّ هذه الورقات من عمل ناسخ تقيّد بالتقليد النصِّي المعمول به في حمص. وبالمثل، وكما أوضح طيار آلتي قولاج وآخرون، فإنّ ثمة مصحفًا مكتملًا تقريبًا يعود لزمن مبكّر موجود في إسطنبول يكشف عن تطابق في أنماط الرسم والوحدات الصرفية المعمول بها في المدينة والتي ذُكرت في علم القراءات، بينما يتطابق مصحف طشقند بمكوناته الصرفية ورسمه مع مصحف الكوفة[١]. وقد عقد محمد مصطفى الأعظمي مقارنات مماثلة في آخر طبعة من كتابه حول القرآن[٢]؛ ومع ذلك لا يلزم من هذا أن يتطابق كلّ مصحف مع المعطيات المذكورة في علم القراءات. ومن الطبيعي في مجال المخطوطات أن نجد بعض التغييرات الناجمة عن اختيار الناسخ نفسه لأسلوب الإملاء والكتابة أو نتيجة خطأ، وكذلك من الطبيعي أن نجد نوعًا من التداخل والتأثّر بفرع آخر في هذا المجال، ويتراكم هذا الأمر على مدار المئات من عمليات النّسخ، وعادة ما تكون الفواصل بين الآيات تحديدًا أكثر عرضة لهذا النوع من التغييرات. على سبيل المثال، وجدنا في ورقة حجازية مفردة نُشرت صورتها مؤخرًا العديد

(1) Tayyar Altıkulaç and Ekmeleddin İhsanoğlu, *Hz. Osman'a izâfe edilen mushaf-ı şerif: Topkapı Sarayı Müzesi Nüshası*, Istanbul, İslam Târih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi,1428/2007.

وأَدِين بالفضل في الوصول لهذا المرجع إلى شاهزاد بشير.

(2) Al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 182-8.

من الاختلافات في طريقة تقسيم الآيات عما تذكره كتب القراءات[١]. وكذلك لاحظ فرانسوا ديروش أن مخطوطة Arabe 328 في المكتبة الوطنية الفرنسية لا تتطابق تمام التطابق مع أيٍّ من الأنماط الواردة في علم القراءات[٢].

وسعيًا لتحديد موقع النصّ العلوي لطروس صنعاء الأولى تسير الدراسة التي بين أيدينا على خطى ياسين دتون، وأجد تطابقًا مع ما ورد في كتب القراءات؛ وسوف يتضح لنا أنه لا مجال للصدفة مطلقًا في هذا التطابق.

(١) David Roxburgh, *Writing the Word of God: Calligraphy and the Qur'an*, The Museum of Fine Arts, Houston, 2007, p. 6-7.

(٢) انظر: Déroche, *La transmission écrite du Coran*, p. 77-102.

ويذكر ديروش أن الأنماط المتبعة في تقسيم الآيات في مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية أقرب إلى طريقة حمص المذكورة في المصادر.

تاريخ النص العلوي في طرس صنعاء (١):

لماذا مُحي النصّ السفلي وكُتب فوقه من جديد؟ لعلّ المالك الأصلي رأى أنه لم تَعُد هناك حاجة للنصّ السفلي بعد أن جمع عثمان المصحف، وهذا أمر محتمل لو أنّ المصحف مِلْكٌ لأحد المساجد، وربما بعد أن تُوفي المالك الأصلي أراد المالك الجديد استبدال النصّ ليحلّ محله المصحف العثماني، أو يُحتمل أنّ الحاجة دعت للكتابة فوق المصحف الأصلي بعد أن لحقه التلف أو صار باليًا؛ وهذا يناسب القطع الأفقي الصغير في الطرف السفلي لبعض الأوراق قبل إعادة الكتابة على النصّ الأصلي. ويبقى السؤال مطروحًا: متى كُتب النصّ العلوي؟ بالنظر إلى الاعتبارات الفنية التاريخية وعلم الكتابة القديمة فإنّ النصّ العلوي يعود إلى أقدم طبقة من المخطوطات القرآنية الموجودة، لكن المعرفة الخطية وعلم الكتابة القديمة في الوقت الحالي لم يصل مبلغًا مناسبًا من التطوّر يسمح بتحديد تاريخ للمخطوطات في هذه الطبقة المبكّرة مقارنة بعضها ببعض؛ وجُلّ ما تقرّره هذه الطرق أنّ الكتابة العلوية يمكن أن تعود للنصف الأول أو الثاني من القرن السابع الميلادي، أو مطلع القرن الثامن (وإن كان هذا الاحتمال ضعيفًا)[1]؛ وبالتالي من الممكن أن يقع التاريخ بين عامي ٦٣٢ و٧٠٠م، ويقدر

---

(١) للاطلاع على التاريخ الفني وعلم الكتابة القديمة، يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع المذكورة هنا:

=

بعضهم أنّ الطبقة العليا كُتبت بعد برهة قصيرة من جمع عثمان المصحف قرابة سنة ٦٥٠م. وحقيقة أنّ جميع المخطوطات الأخرى المبكّرة تعود للمصحف العثماني تدلّ على سرعة انتشار المصحف الإمام وهيمنته؛ لذا ربما نجمَ عن هذا اتجاهٌ لاستبدال جميع المصاحف غير العثمانية، ومع ذلك فإنّ الأدلة الأدبية تثبت أنّ بعضهم لم يتخلَّ عن مصحفه الذي يخالف المصحف العثماني، وأنّ القراءات المخالفة تناقلها علماء بارزون، وأنّ نسخًا من هذه المصاحف كانت موجودة بالفعل في القرون الأولى[(١)].

وختامًا، يمكن طرح تساؤل حول المكان الذي كُتبت فيه الطبقة العلوية. وللإجابة على هذا التساؤل أحاول تحديد موقع النصّ من تقاليد «القراءة» في الأمصار وفق ما جاء في كتب القراءات؛ وفي سبيل ذلك يمكن الإفادة من موردَين هما: الاختلافات الإملائية بين الأمصار، وطرق تقسيم المقاطع القرآنية إلى آيات.

=

Blair, *Islamic Calligraphy*, p. 101-40; Déroche, "New Evidence about Umayyad Bookhands", p. 611-42;

صلاح الدين المنجّد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٢.

(١) انظر: ابن أبي داود، المصاحف، ص١٤- ١٨؛ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د. ت، ص٢٩؛ محمود راميار، تاريخ القرآن، ص٣٦٢- ٣٦٤، ٣٨٢- ٣٨٤، ٣٨٩- ٣٩٢.

www.Quranonlinelibrary.com

منشأ أحد المصاحف العثمانية: النتائج والمنهج:

أحرزَت المحاولات الأخيرة من جانب ياسين دتون وآخرين في الربط بين معطيات القراءات والمخطوطات العثمانية المبكّرة نجاحًا كبيرًا، وفي هذه الدراسة أسير على خطاهم المنهجية لتسليط الضوء على منشأ النصّ العلوي العثماني في طرس صنعاء (١)[1]. وقد اعتمدتُ في منهجي على المقارنة بين بيانات المخطوطة وعدد محدود من الأنماط والطرق المروية في كتب القراءات لعدد من الأمصار للوقوف على مدى وجود تطابق بينها، (سبق أن أوضحنا المقصود بعلم القراءات في موضع سابق من هذا البحث). ويتّضح لنا أنّ النصّ العلوي يُمكن أن يكون قد كُتب في دمشق أو حمص أو الكوفة أو البصرة، لكنه متوافق مع التقاليد المتّبعة في مكة أو المدينة، ويُحتمل أن يكون مكتوبًا في واحدة من هذه المدن أو في اليمن أو في مصر.

وحتى يتسنى تقدير أهمية هذا المنهج وقوّته قد يكون من المناسب طرح مثال افتراضي مبسط؛ لنفترض أنّ شخصًا ما معنيًّا بالاختلاف في طريقة تقسيم المقاطع إلى آيات، ولنفترض أنّ لدينا مخطوطة قرآنية غير مكتملة تشتمل على

---

(١) سبقت الإشارة إلى دراسة ياسين دتون وانتصار رب في الهامش رقم (١)، ص٥٣، (وقد عمدَت انتصار رب إلى تهذيب العمل الذي أنجزه دتون). وللاطلاع على مقاربات مماثلة لطيار آلتي قولاج، ومحمد مصطفى الأعظمي، وفرانسوا ديروش في الوقت الحالي، انظر الهوامش رقم (١)، ص٥٤، رقم (٢)، ص٥٤، رقم (١)، ص٥٥. وللوقوف على الأهمية العامة لهذه الدراسات انظر ما مَرّ معنا في البحث الذي بين أيدينا. وفي حدود ما أعلمه فإن العلماء الأوائل الذين وظّفوا هذا المنهج عاشوا في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وقد استخدموا هذا المنهج مع مخطوطة تعود لجد مالك بن أنس، كما أشرنا من قبل في الهامش رقم (٢)، ص٥٢.

عشرين موضعًا أوردَت كتب القراءات وجود خلاف فيها في موضع الفاصلة بين الآيات، وإجمالي الاحتمالات الممكنة لوضع فواصل الآيات لهذه المواضع العشرين قرابة مليون احتمال، وتحديدًا (١٠٤٨٥٧٦)، ومع ذلك فلا تذكر القراءات سوى سبعة أنماط فقط؛ طريقتان منها تختصّان بالمدينة، في حين تعود باقي الطرق إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق وحمص؛ ومعنى هذا أنّ الاحتمال المبدئي في أنْ توافق أيُّ مخطوطة واحدًا من هذه الأنماط السبعة في المواضع العشرين هو صفر تقريبًا (حوالي ٠,٠٠٠٠٠٧)؛ ولذا إذا تطابقت أيُّ مخطوطة مع هذه الأنماط، فهذا أمرٌ مذهل لا مجال فيه للمصادفة.

تجدر الإشارة إلى أن القراءات لم يكن الهدف منها وصف كلّ ما يرِد في المخطوطات، بما في ذلك الأخطاء، وإنما نقل معرفة المتخصّصين في تحديد النصّ الصحيح، وهي معرفة اعتمدَت بشكل جزئي على تحليل للمخطوطات المتزامنة؛ وهذا يجعل ارتباطها بالمخطوطة الأسبق زمنًا أمرًا جديرًا بالملاحظة. وليس بالضروري أن يتوقّع المرء توافقًا وثيقًا؛ فلم يكن مطلوبًا في المرحلة الزمنية المبكّرة أن تتجاوز مهارات الكثيرين من النسّاخ القدرة على القراءة والكتابة وحُسْن الخط، بخلاف المعايير التي كان على العلماء استيفاؤها والمهارات الواجب امتلاكها[1]. فحتى النصوص الأكثر دقّة التي يكتبها الناسخ لم تكن

(١) هناك شواهد كثيرة على وقوع أخطاء من النسّاخ في كتابة المخطوطات القرآنية؛ (إسقاط حروف أو تصحيف لا معنى له، تكرار الحروف أو الكلمات، وضع فاصلة آية في غير موضعها، أخطاء إملائية، وغير ذلك، وقراءات شاذة). ولا =

لتتجاوز في جودتها المخطوطة التي ينسخها، والتي اشتملت على تغييرات تراكمَت على مدار مئات عمليات النَّسْخ المبكّر التي تولّاها ناسخون تفاوَتَت مستويات الدقة لديهم؛ فمنهم المتقِن ومنهم غير المتقِن.

أمّا عن الفواصل بين الآيات تحديدًا فنجد قدرًا كبيرًا من المشكلات التي تراكمت نتيجة أخطاء النسّاخ واختياراتهم الشخصية، مما أدى في النهاية إلى واقع معقد جدًّا لم يسلِّط علم القراءات الضوء إلا على جزء منه؛ لذا لا يمكن أن نتعامل مع وجود التطابق على أنه أمر بديهي من المسلّمات، وبالفعل هناك بعض المخطوطات لا يظهر منها تطابق وثيق فيما يخصّ فواصل الآيات. ومع ذلك، فإنّ الملاحظ وجود حالات فيها اتفاق وثيق بين المخطوطات وما وَرد في علم القراءات. وفي هذه الحالات يمكن أن يساعد علم القراءات في تحديد أصل المخطوطات ومنشئها.

=

يعني هذا بالطبع اتهام جميع النسّاخ بالإهمال وعدم الإتقان. وهناك تشابه مع علم النقد النصِّي للعهد الجديد: فقد كان هناك عدد كبير من النساخ المهملين في العصور الأولى، رغم «أن نموذج البردية ٧٥ تبين أن بعض النساخ كانوا قادرين على توخي الحذر» (انظر: R. Royse, "Scribal Tendencies in the Transmission of the Text", in *The Text of the New Testament in Contemporary Research: Essays on the Status Quaestionis*, ed. B.D. Ehrman and M.W. Holmes, Grand Rapids, 1995, p. 239-52) وبمرور الوقت تحسّنَت الأحوال؛ وعليه فإن النساخ الأوائل لم يتحلّوا بالحذر الذي تجلى بعد ذلك في الكتابات المتأخرة، (انظر المرجع نفسه). وللاطلاع على نموذجَيْن لعدم إتقان النسّاخ، وهما نموذجان من السوء لدرجة تدعو للأسى، انظر:

Bruce M. Metzger, *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*, 3rd edition, Oxford, 1992, p. 194-5.

منهج المقارنة بين المخطوطات وما جاء في كتب القراءات:

ما نوع الاختلافات التي يمكن أن تشتمل عليها المخطوطات؟ وما الاختلافات التي يُعنى بها علم القراءات؟ من الممكن أن تشتمل المخطوطات القرآنية العثمانية على أنواع كثيرة من الاختلافات، منها الاختلافات في علامات التحريك وفي الهمزات في تلك المخطوطات التي لا توجد بها هذه العلامات، علاوة على الاختلافات في علامات الشرطة الصغيرة التي تميز السواكن المتشابهة في الرسم (مثل الباء والتاء) (انظر الصف الأول في الجدول الخامس)، وكذلك الاختلافات الهجائية التي لا تغيّر معنى الكلمة ولا طريقة نطقها، والاختلافات التي تغير النطق دون المعنى (مثل {اولا الالبب} في مقابل {اولى الالبب}) واستخدام كلمات مختلفة لها نفس الشكل. ومن بين هذه الأنواع فإن بعض الاختلافات (مثل علامات التحريك أو التشكيل) يندر وجودها أو ينعدم تمامًا في المخطوطات الأولى. على سبيل المثال، فإن النص العلوي لطرس صنعاء (١) لا يشتمل على علامات التحريك.

تزودنا كتب القراءات بمعلومات منهجية عن جميع الأنواع السالفة من الاختلافات، لكنها ليست بهذا الشمول فيما يخصّ اختلافات الرسم التي لا تضع كلمة بدلًا من أخرى أو تغيّر في نطقها (الصف الثاني من الجدول الخامس). وفي اللغة الإنجليزية ترتبط مثل هذه الاختلافات بالفرق بين طرق الهجاء كما هو الحال في كتابة الكلمات الآتية "adviser"، "advisor"،

behavior، behaviour. ورغم أنّ هذه الاختلافات هامشية نسبيًّا في كتب القراءات إلا أنها تمثّل الفئة الأكبر في أدلة المخطوطات، وتعود هذه الاختلافات في أغلبها إلى غياب الاتساق في طريقة كتابة الحروف المتحركة الممدودة في أسلوب الكتابة العربية المبكّر؛ فقد اختلف النُّسّاخ فيما بينهم في أساليب الكتابة، بل إنّ الناسخ الواحد قد يتنقل بين الطرق الإملائية المختلفة للكلمات(١). وتُعَدّ طريقة كتابة الألف الممدودة من أبرز اختلافات الرسم هذه. على سبيل المثال، يمكن كتابة صوت الألف في كلمة (على) بالألف المقصورة أو الممدودة وبالتالي يكون للكلمة شكلان (علا) أو (على). ومع ذلك فإنّ ما جرى عليه العمل في غالب الأحيان إمّا أن تُكتب بالألِف أو يتم إسقاطها تمامًا؛ ولذا فإن كلمة كاتب التي وردت في سورة البقرة في الآية (٢٨٣) إمّا أن تكتب بإثبات الألِف أو بإسقاطها (كتب).

الجدول ٥: فائدة المصادر الأدبية في تحديد منشأ جزء من مخطوطة وموقعها في التقليد النصّي العثماني تعتمد على نوع الاختلافات الواردة في المخطوطة.

(١) انظر: al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 145;
للوقوف على بعض الأمثلة من المخطوطات المبكرة غير العثمانية، ص١٦٣- ١٦٤.

نوع الاختلاف	وروده في المخطوطات	المعلومات المذكورة في المصادر الأدبية	فائدة القراءات في تحديد المنشأ
١- اختلاف علامات التحريك (الحركات) أو العلامات المميزة للسواكن	المخطوطات المبكّرة لا تشتمل على علامات ضبط الكلمات أو الحركات، وإن وجدت فعددها محدود	مفصلة	لا تفيد في المخطوطات التي لا تشتمل على علامات الضبط أو الحركات في المواضع محلّ الاهتمام والدراسة
٢- اختلافات الرسم التي لا يلزم منها تغيير طريقة النطق	متكررة جدًّا	محدودة	لا تفيد
٣- اختلافات الرسم التي يلزم منها تغيير النطق (اختلاف الرسم والوحدات الصرفية)	تتكرر بصورة تتسق مع النقل الكتابي	محددة ودقيقة للمصاحف الأصلية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار (مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام). لا توجد بها التغييرات المتناظرة التي تراكمت فيما بعد	مفيدة في حال اشتمال المخطوطة على بعض المواضع الستة والثلاثين التي اختلفت فيها المصاحف العثمانية الأصلية
٤- الاختلافات في	متكررة	غير موجودة في	مفيدة إذا كانت فواصل

نوع الاختلاف	وروده في المخطوطات	المعلومات المذكورة في المصادر الأدبية	فائدة القراءات في تحديد المنشأ
مواقع الفاصلة بين الآيات		المصاحف الأصلية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار. بعض الفروع المتأخرة لهذا التقليد مدونة (مكة والمدينة ودمشق وحمص والكوفة والبصرة). ولا يلزم وجود جميع الأنماط المتأخرة جميعها	الآيات في المخطوطة متطابقة مع أحد الأنماط المدونة (ولا يوجد تطابق دومًا)

ومن الملاحظ أنّ الحالة الثانية التي تُكتب فيها الكلمة بدون ألِف (كتب) لن يتمكن القارئ من معرفة المقصود بدون السياق، فهل يقرؤها كُتِبَ، أو كُتُب، أو كتاب أو كاتب أو كُتّاب، فجميعها خيارات محتملة؛ لكن في الآية ٢٨٣ من سورة البقرة نجد أنّ السياق يزيل الالتباس، أمّا في الحالة الأولى التي كُتبت فيها بالألف فإنّ الرسم نفسه يثبت الحرف. وهناك حالات أخرى لا يجدي فيها السياق في رفع الالتباس، وفي هذه الحالات تسوق كتب القراءات الاختلافات المحتملة في النطق كما وردت عن القُرّاء الأوائل.

ما نوع الاختلاف الذي يمكنه أن يفيد في مقارنة المخطوطات بالقراءات؟ لا شك أنّ الاختلافات التي يدلي فيها علم القراءات بدلوه ويُفصّل فيها القول هي اختلاف علامات التحريك في الرسم، لكن هذا النوع من الاختلافات لا يفيد كثيرًا في المخطوطات التي لم تُضبط بالحركات. وبالمثل، فإنّ الفئة الأكبر من الاختلافات الموجودة في المخطوطات، وهي الاختلافات الهجائية والإملائية التي لا يلزم منها تغيير كلمة (مثل كاتب وكتب في سورة البقرة، الآية ٢٨٣) لا تفيد كثيرًا لأنّ كتب القراءات لا تفصل القول في بيان أساليب الإملاء المتبعة في الأمصار المختلفة. وعلى أية حال، من المحتمل بصورة كبيرة في ظلّ عدم الاتفاق على أسلوب موحد في الكتابة والإملاء أنْ لا يكون الاختلاف في طريقة إملاء الكلمة دليلًا على وجود اختلاف خاصّ بالأمصار. على سبيل المثال، فإنّ ناسخَيْن معاصرَيْن ومن بلد واحد يمكن أن يختلفا في طريقة كتابة كلمة (على)؛ فيكتبها أحدهما (على) والآخر (علا) كما فعل الناسخان في النص العلوي لطرس صنعاء (١). (ومع ذلك سجّل العلماء أكثر من مائتي موضع اتفقت فيها مصاحف الأمصار الرئيسة على طريقة كتابة كلمة من الكلمات[١]، كما سجّلوا بعض المواضع التي اتفقت فيها المصاحف في مصرٍ من الأمصار[٢]. ويتّضح من هذا أن

(١) أورد ابن أبي داود السجستاني في كتابه ما اجتمع عليه كُتّاب المصاحف، انظر: كِتَاب المصاحف، ص١٠٥- ١١٧. وكما هو متوقع، عدد قليل منها يتضمن حرف الألِف، وهذا يؤكد أن استخدام الألِف لم يكن يجري على نسق واحد.
(٢) كما في مصاحف المدينة، انظر المرجع السابق، ص١٠٤.

إجراء مزيد من البحث يمكن أن يكشف عن كلمات معينة يكون لطريقة الإملاء فيها أهمية كاشفة).

وبهذا يبقى لدينا نوعان من الاختلافات: ١- اختلافات الوحدات الصرفية والرسم. ٢- اختلافات في طريقة فصل الآيات عن بعضها، وهو مجال حديثنا في الجزء التالي.

اختلافات الرسم والوحدات الصرفية في التقليد النصي العثماني:

إلى أيّ مدى ينبغي للمرء أن يمضي في مقارنة الرسم في واحدة من المخطوطات بما ورد في علم القراءات، وما الذي يمكن أن نخرج به من هذه المقارنة؟ نتناول في هذا الجزء من البحث المجموعات الفرعية الصغيرة نسبيًّا من هذه الاختلافات التي ينجم عنها بالضرورة تغييرٌ في كلمةٍ ما، ولو كان التغيير طفيفًا، أو تغييرٌ في طريقة نطقها. ومن الملائم أن نخصّص لهذا النوع تسمية خاصّة به؛ ولذا أطلق عليه اختلافات الرّسم والوحدات الصرفية. وبعبارة أخرى، فإنّ المناقشة الحالية مقصورة على الرّسم ولا تتناول الاختلافات الإملائية الأخرى التي لا يلزم منها تغيير في كلمة أو في طريقة نطقها (الصف الثالث في الجدول الخامس). ومن أمثلة هذه الاختلافات التي تتعلّق بالرسم والوحدات الصرفية كتابة حرف فاء بدلًا من الواو؛ لكن الاختلاف في هجاء الكلمة مثلما مَرّ معنا في (كتب وكاتب) في الآية ٢٨٣ من سورة البقرة لا يدخل ضمن هذا النوع.

وكما أسلفنا فإنّ مايكل كوك قد أثبت أنّ علم القراءات يعطينا معلومات دقيقة ومعتمدة حول الاختلافات من هذا النوع في المصاحف الأم التي أرسلها عثمان إلى الأمصار[١]. ولو أنّ التقليد النصِّي العثماني قد تطوّر عبر الزمن، فإننا

---

(١) انظر:

=

www.Quranonlinelibrary.com

محظوظون لعلمنا الحالة الأولى في هذا التسلسل؛ فإنّنا نعلم أصول شجرة النسب، ممثّلة في المصاحف العثمانية الأم. ومع ذلك فإنّ هذا ينطبق على مستوى الرسم والوحدات الصرفية فقط، ولا يلزم انطباقه على الحالات الأقل أهمية التي لا تغيّر فيها الاختلافات الإملائية طريقة النّطق. على سبيل المثال، لا ينطبق هذا دومًا على طريقة هجاء الكلمات؛ ففي الكثير من الحالات لا نعلم الهجاء الأصلي للكلمات الواردة في المصاحف التي وزّعها عثمان على الأمصار. وفي المقابل فإنّ غالبية المخطوطات تمثّل دليلًا على حدوث تطوّرات لاحقة في النصّ المكتوب، وتحديدًا فروع التقليد النصّي العثماني، ولا حاجة لأن يرهق العلماء أنفسهم في إعادة بناء نموذج أوّلي من المُدركات

=

Michael Cook, "The Stemma of the Regional Codices of the Koran", p. 89-104.

من أين جاءت المعرفة بهذه الاختلافات المتعلّقة بالرسم والوحدات الصرفية في المصاحف العثمانية الأم التي وزعت على الأمصار؟ ربما استطاع الباحثون تمييز هذه الاختلافات بين مصاحف الأمصار من خلال فحص النُّسَخ الأصلية من مصحف عثمان، ويميل الأعظمي إلى هذا القول. انظر:

The History of the Qurʾānic Text, p. 167

ولا شك أنّ تفاصيل هذا النشاط العلمي المبكّر جديرة بالبحث والدراسة. وثمة احتمال آخر، إِذْ يتوجّب على المرء النظر في مصدر الاختلافات الإملائية المذكورة، هل هي مأخوذة من القراءات والطرق العلمية التي سارت عليها الأمصار في قراءة القرآن؟ ومن المفترض أن الاختلافات الإملائية التي تغير طريقة النطق كانت ضمنية في القراءات. انظر: محمد سالم محيسن، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥/ ١٩٩٤. أمّا الاحتمال الثالث فإن العلماء ربما أجروا تحليلًا نصيًّا أوّليًّا لمخطوطات ذات جودة عالية تعود للقرن الأول وتنتمي لعدّة أمصار مختلفة. ومهما كانت الطريقة التي استُخدمت فقد أظهرت دراسة كوك أنها أسفرت عن نتائج دقيقة.

www.Quranonlinelibrary.com

اللاحقة، فبفضل جهود العلماء الأوائل المتخصِّصين في الدراسات القرآنية، لن نكون تحت رحمة النسّاخ والتغييرات التي أحدثوها في النصوص.

وينبغي لهذه التصوّرات أن توضح طريقة التعامل مع مخطوطة عثمانية، فلو وافقت قواعد الإملاء نمطًا جرى العمل به في مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة أو الشام، فإنّ المخطوطة تنتمي لهذا المصر أو الأمصار التي تسير على التقليد المتّبع فيها. وفي المقابل، لو اختلفت طريقة كتابة الكلمات مع المصاحف التي وزّعها عثمان على الأمصار، فيمكن القول أنها تراكمات لاحقة. وهذا النوع من الفروقات ينتقل بالطبع في التقليد النصِّي؛ ولهذا له أهمية خاصّة في تحديد أصل المخطوطة ومنشئها؛ وذلك لأنه يمكن للمرء أن يعزو مخطوطةً ما لبلدة من البلدان إذا اشتملت على أنماط معينة خاصّة بالأمصار بناء على الخصائص النصّية ومنها الأخطاء التراكمية. ومع ذلك فإنّ الوضع العلمي الراهن لم يصل بعد درجة كافية من التطور تسمح بتوظيف الأخطاء التراكمية بهذه الصورة.

فواصل الآيات في التقليد النصي العثماني:

أقصد باختلافات الفواصل بين الآيات الطرق التي اتبعتها الأمصار أو الأفراد في تقسيم السور إلى آيات، وأتناول هنا ما تورده المصادر الأدبية (كتب القراءات) حول الاختلافات في هذه التقسيمات، ولا يلزم اشتمال المخطوطات دومًا على هذه الاختلافات، بل يمكن أن تشتمل المخطوطات على اختلافات لم تُوردها كتب القراءات أو لا تأتي على ذِكْر بعض ما أوردته هذه الكتب؛ ولذا هناك تفاوت في هذه الفروقات، فربما تكون محدودة أو عديدة. ويمكن مقارنة البيانات الواردة في مخطوطةٍ ما مع الأنظمة المتّبعة في تقسيم الآيات للوقوف على أيّ تطابق (الصف الأخير من الجدول الخامس).

توضح المصادر الأدبية (أخبار القراءات) بعض الأنظمة المعمول بها في تقسيم الآيات في مكة والمدينة (وهما طريقتان) والكوفة والبصرة ودمشق وحمص، وقد تتفق هذه الأنظمة أو تختلف فيما بينها في مرحلةٍ ما. وفي ثماني وثلاثين سورة، لا نجد أيّ اختلاف: فقد أجمعت الأمصار على طريقة تقسيم الآيات. وهناك عشر سور فيها اختلاف واحد في موضع الفاصلة بين الآيات في كلّ سورة، في حين تشتمل باقي السور على عدّة اختلافات، وتنفرد سورة طه باشتمالها على أكثر من عشرين موضعًا محلّ خلاف. واللافت للنظر أن السور ذات الآيات القصيرة هي التي تزداد فيها مواضع الخلاف، وتكشف مواطن الشبه والاختلاف بين الأنظمة المعمول بها في تقسيم الآيات كما ورد في علم القراءات بعض اللمحات حول نشأتها.

وفي المقابل، فإنّ الاختلافات في مواضع الفواصل بين الآيات أقلّ مما يتوقعه المرء في حال ما لو تُرك تقسيم السور لاختيار الأمصار المختلفة. ورغم أن بعض فواصل الآيات هي حالات «واضحة» إلا أنّنا لو افترضنا وجود شخصين يُترك لكلّ منهما حرية تحديد موضع الفواصل بين الآيات في نصّ غير مقسم، لكان من الطبيعي أن يكون التفاوت كبيرًا مقارنة بالاختلافات الواردة في كتب القراءات. ويدلّ هذا على أن الأنظمة المعمول بها في تقسيم الآيات ترتبط في أصولها، فهي مستمدة بعضها من بعض، ومن مصادر مشتركة. وعلاوة على ذلك، فإنّ التقسيمات المتّفق عليها، وهي جُلّ الفواصل، يمكن عزوها إلى نموذج أصلي.

ومن جهة أخرى، فإنّ الاختلافات في مواضع فواصل الآيات أكبر بكثير من اختلافات الرسم والوحدات الصرفية في المصاحف العثمانية الأصلية التي وزّعت على الأمصار، وربما تعكس هذه الفجوة بشكلٍ جزئي حقيقة أنّ الأخبار التي تناولتْ قواعد الرسم تصف المصاحف الأصلية التي وزّعها عثمان، بينما الأخبار التي وردت في فواصل الآيات معنية بالأنظمة التي سارت عليها الأمصار وانبثقت من هذه المصاحف.

وبعبارة أخرى، هناك فجوة زمنية تسمح من حيث المبدأ بوقوع تباين تدريجي واختلاف عن الحالة الأصلية، ومع ذلك فإنّ هذا وحده لا يكفي لتبرير هذا العدد الهائل من الاختلافات. ولعلّ العامل الأكثر أهمية هو أنّ فواصل

الآيات بطبيعة الحال كانت أكثر عرضة للاختيارات الشخصية، وأخطاء النقل أو الأخطاء المتناظرة. ولا بد أنّ النُّسّاخ اعتبروا النصّ برسمه ومكوّناته الصرفية أكثر أهمية من طريقة تقسيمه، مما أدى إلى قلّة المبالاة بنقل علامات الفواصل بين الآيات كما هي بالضبط.

ووجود أخطاء النقل والاختيارات الشخصية والأخطاء المتناظرة (ويراد بها تأثر التقليد النصِّي في مصرٍ بغيره من الأمصار) في أنظمة تقسيم الآيات المذكورة في كتب القراءات يجعل من الصعب نسبيًّا إعادة بناء علاقات النسب بين الممارسات التي جرى العمل بها في تقسيم الآيات في هذه الأمصار. (وهو ما يتعارض مع الطريقة المباشرة التي يمكنها الكشف عن هذه العلاقات بناء على الاختلافات الإملائية)[١]. ورغم أنّ عملية إعادة البناء هذه بعيدة عن نطاق البحث الذي بين أيدينا، إلا أنه من المناسب تسليط الضوء على نظامين لا تخطئهما العين، الأول منهما: المكي، والمدني الأول، والمدني الأخير إِذْ تندرج هذه الطرق ضمن مجموعة متمايزة تختلف عن النظام المتّبع في الكوفة والبصرة والشام. (وتشمل الشام كلًّا من دمشق وحمص حيث تتشابه الطريقتان المعمول بهما، أمّا المدني الأول والأخير فهما طريقتان مختلفتان جرى العمل بهما في المدينة). ونجد أنّ طرق تقسيم الآيات المعمول بها في أيّ مصرَين من الأمصار

(١) نفس المرجع.

التي تندرج ضمن هذه المجموعة تتشابه بعضها مع بعض عن الطرق المتبعة في أيّ مصرٍ خارج المجموعة. أمّا النظام الثاني المثير للدهشة فنجد فيه المدني الأول أقرب إلى المكي من المدني الأخير؛ وبالمثل فإنّ المدني الأخير أقرب إلى المكي من المدني الأول[١].

ولا شكّ أنّ العدد الهائل للاختلافات المتعلّقة بفواصل الآيات (مقارنة باختلافات الرسم والوحدات الصرفية) يجعل منها أداة استكشافية نافعة بوجه خاصّ في الحالات التي وصَلَنا فيها جزء صغير من أحد المصاحف؛ وذلك لأن المقطع يشتمل في المتوسط على عدد من الاختلافات الخاصّة بمواضع فواصل الآيات أكبر من الاختلافات الخاصّة بخصائص الرسم، ويمكن أن تكون هذه الاختلافات مفيدة جدًّا في تحديد أصل المخطوطة ومنشئها. على سبيل المثال، فإنّ عزو المخطوطة القرآنية الأقدم، الموجودة في المكتبة البريطانية، إلى التقليد المتّبع في حمص يدلّ على إمكانية وجود مستوى عالٍ من التمايز والتباين في ظلّ التقارب بين طريقة تقسيم الآيات في حمص ودمشق[٢].

---

(١) توجد أربع شجرات محتملة لانتقال النص: الشجرة الأولى (م١ مك م٢). الثانية: (م٢ مك م١). والثالثة (مك م١) وكذلك (مك م٢). والرابعة (م١ مك)، وكذلك (م٢ مك). والشجرة الأخيرة غير محتملة لأنها لا تفسّر سبب انتماء (م١)، (م٢) لنفس المجموعة. وتشير (م١) إلى المدني الأول، في حين تشير (م٢) إلى المدني الأخير، أمّا (مك) فتشير إلى الطريقة المكية.

(٢) انظر المراجع المشار إليها في الهامش رقم (٢)، ص٥٣ .

www.Quranonlinelibrary.com

فواصل الآيات في النص العلوي لطرس صنعاء (١):

من خلال النظر في مواضع فواصل الآيات المجمع عليها أو المختلف فيها، صار بالإمكان تحديد مدى تطابق النصّ العلوي مع طرق تقسيم الآيات الواردة في المصادر الأدبية.

سورة البقرة، الآيات (٢٥٦- ٢٧٧[١]، ٢٧٧- ٢٨٦[٢]):

لا تساعد هذه المقاطع في تحديد النصّ بشكلٍ قاطع؛ فإنّ فواصل الآي المختلف فيها في سورة البقرة التي ذكرها الداني أو غيره من العلماء لا وجود لها في المقاطع الواردة في الورقات[٣].

---

(١) مخطوطة ستانفورد ٢٠٠٧.

(٢) ورقة ديفيد.

(٣) المواضع المختلف فيها في سورة البقرة هي:

الآية الأُولى: ﴿الم﴾، وهي فاصلة آية وفق نظام العدّ الكوفي فقط.

الآية العاشرة: ﴿عذاب أليم﴾، حسب النظام الشامي فقط.

الآية الحادية عشرة: ﴿إنما نحن مصلحون﴾، ليست موضع فاصلة وفق النظام الشامي وحده.

الآية ١١٤: ﴿إلا خائفين﴾، موضع فاصلة بحسب النظام البصري.

الآية ١٩٧: ﴿يا أولي الألباب﴾، ليست موضع فاصلة بحسب النظام المكي والمدينة (١).

الآية ٢٠٠: ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾، ليست موضع فاصلة بحسب طريقة المدينة (٢).

الآية ٢١٩: ﴿ماذا ينفقون﴾، فاصلة بحسب المدينة (١) والطريقة المكية.

الآية ٢١٩: ﴿لعلكم تتفكرون﴾، فاصلة بحسب طريقة المدينة (٢) والكوفة والشام.

الآية ٢٣٥: ﴿قولًا معروفًا﴾، فاصلة بحسب طريقة البصرة.

=

ويشتمل النصّ العلوي على موضعي فاصلة لم يذكرهما الداني، عند قوله: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ في الآية ٢٦٧، وقوله: ﴿والمؤمنون﴾ في الآية ٢٨٥. ثم تأتي علامة التعشير التي تميز الآية ٢٧٠ وموضعها بعد قوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾[البقرة: ٢٧١]. وهناك علامة تعشير أخرى عند قوله: ﴿لا يُظلمون﴾[البقرة: ٢٨١]. ويمكن للمرء النظر في مدى تطابق الورقة مع إجمالي عدد الآيات وفق طرق العدّ المعمول بها في الأمصار المختلفة، لكن في ظِلّ طول السورة على نحو غير معهود، وموضعي الفاصلة الإضافيين؛ فهناك احتمال قائم بأن تكون المخطوطة اشتملت (خلت من) فاصلة أخرى بشكل غير مألوف، مما يلقي بظلاله على هذا التطابق.

=

الآية ٢٥٥: ﴿الحيّ القيوم﴾، فاصلة بحسب طريقة المدينة (٢) والبصرة ومكة.

الآية ٢٥٧: ﴿من الظلمات إلى النور﴾، فاصلة بحسب النظام المدني (١).

يبلغ عدد آيات السورة ٢٨٥ وفق نظام العدّ المدني والمكي والشامي، في حين أن عدد الآيات ٢٨٦ وفق النظام الكوفي و٢٨٧ وفق طريقة البصري. انظر: الداني، البيان في عدّ آي القرآن، الكويت، دار النصر، ١٤١٤/ ١٩٩٤، ص٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٥- ٩٦، ١٠٠- ١٠١، ١٤٠- ١٤٢. وانظر أيضًا:

Anton Spitaler, *Die Verszählung des Koran nach islamischer Überlieferung*, Munich, Verlag der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, 1935, p. 32-4.

سورة الأنعام، الآيات (٤٩- ٦١[١]؛ ١٤٩- ١٥٩[٢]):

أورد الداني أربعة مواضع مختلفًا فيها لفواصل الآيات في سورة الأنعام، ولا ترِد أيٌّ منها في المقاطع التي اشتملت عليها الورقات[٣]. ولحسن الحظ أنّ عدّ الآيات الذي يُفهم من علامات التعشير في النصّ العلوي يسلط الضوء على طريقة تقسيم الآيات. وتظهر علامات التعشير في المواضع الآتية: ﴿يفسقون﴾[الآية: ٤٩]، ﴿مبين﴾[الآية ٥٩]، ﴿أجمعين﴾[الآية: ١٤٩]؛ لتمييز الآية الخمسين، والستين، والآية الخمسين بعد المائة. وما كانت هذه الأرقام لتأتي بهذا الترتيب لولا وجود فاصلة عند قوله: ﴿الظلمات والنور﴾[في الآية الأولى]. (وهذا هو الموضع الوحيد المختلف فيه في هذا الجزء من السورة، ثم

---

(١) صورة رقم 152255B، القرص المدمج لمنظمة اليونسكو.

(٢) صورة رقم 152254B، القرص المدمج لمنظمة اليونسكو.

(٣) المواضع المختلف فيها في سورة الأنعام:

﴿وَجعل الظُّلُمَات والنور﴾[الآية الأولى]، عدّهَا المدنيان والمكي وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿قل لست عَلَيْكُم بوكيل﴾[الآية: ٦٦]، عدهَا الْكُوفِي وَلم يعدها البَاقُونَ.

﴿كن فَيكون﴾[الآية: ٧٣]، لم يعدّها الكوفي وعدّها الباقون.

﴿إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم﴾[الآية: ١٦١]، لم يعدّها الكوفي وعدّها الباقون.

﴿هو الذي خلقكم من طين﴾[الآية: ٢]، جاء في أحد الأخبار أن أهل المدينة دون الباقين عدّوها فاصلة.

إجمالي عدد الآيات وفق النظام الكوفي ١٦٥ آية، أمّا بالبصري والشامي فالإجمالي ١٦٦ آية، في حين يبلغ العدد ١٦٧ آية بالمدني والمكي. انظر: الداني، البيان، ص٨٩، ٩١- ٩٢، ٩٩، ١٥١- ١٥٤. وانظر أيضًا: Spitaler, Verszählung, p. 36-7. 67

يليه موضع آخر في الآية رقم ٦٦). وعلى القول بوجود فاصلة عند: ﴿الظلمات والنور﴾ يمكن للمرء أن يتساءل عن مدى اتفاق هذا النظام في عدّ الآيات مع المعمول به في الأمصار المختلفة. وموضع الفاصلة عند قوله: ﴿الظلمات والنور﴾ يتفق مع المكي أو المدني دون الكوفي والبصري والشامي[١]. وهذا القول مبنيّ على افتراض عدم وجود فواصل غير مألوفة في المخطوطة قبل الآية (٤٩). وليس هذا افتراضًا غير معقول، فإن مجيء علامات التعشير الثلاث الأولى في المواضع المتوقعة يوحي بوجود انتظام فيها وأنها لم تشذ عن المألوف.

سورة طه، الآيات (١ – ٤٣)[٢]:

من حسن الحظ أن تشتمل صورة واحدة على الآيات الثلاث والأربعين الأولى من سورة طه، ويوجد في هذه السورة أكبر عدد من مواضع الفواصل المختلف فيها في القرآن كلّه، ويتجاوز عددها العشرين[٣]. وتحتوي صورة هذه الورقة من المخطوطة على تسعة مواضع منها.

---

(١) هناك فاصلة عند قوله: ﴿يصدفون﴾ في الآية ١٥٧ من سورة الأنعام، لكن يبدو أنها خطأ من الناسخ، إِذْ تظهر في منتصف الآية بشكل غريب، ومن الواضح أنه قد حدث لبس مع موضع الفاصلة الصحيحة وهي عند كلمة ﴿يصدفون﴾ الأخرى، فقد قفز الناسخ إلى موضع تكرار الكلمة نفسها، وهو خطأ شائع في الكتابة.

(٢) صورة 152256B في القرص المدمج لمنظمة اليونسكو.

(٣) مواضع الفواصل المختلف فيها في سورة طه:

=

=

﴿طه﴾، عدّهَا الكُوفِي وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿نسبّحك كثيرًا﴾، ﴿وَنذكرك كثيرًا﴾[٣٣- ٣٤]، لم يعدّهما البَصْرِيّ وعدّهما البَاقُونَ.

﴿فاقذفيه في اليمّ﴾[٣٩]، عدّها الحمصي دون الباقين.

﴿محبَّة منِّي﴾[٣٩]، لم يعدّها الكُوفِي والبصري والحمصي وعدّها البَاقُونَ.

﴿كي تقرّ عينُهَا وَلَا تحزن﴾[٤٠]، عدّهَا الدمشقي (وفي رواية الحمصي) وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿وفَتَنَّاك فُتُونًا﴾[٤٠]، عدّهَا البَصْرِيّ والدمشقي والحمصي وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿في أهل مَدين﴾[٤٠]، عدّهَا الدمشقي (وفي رواية الحمصي) وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿واصطنعتك لنَفْسي﴾[٤١]، عدّهَا الكُوفِي والدمشقي والحمصي وَلم يعدّها البَاقُونَ.

﴿فَأَرْسِل مَعنا بني إِسْرَائِيل﴾[٤٧]، عدهَا الدمشقي والحمصي وَلم يعدها البَاقُونَ.

﴿وَلَقَد أَوْحَينَا إِلَى مُوسَى﴾[٧٧]، عدهَا الدمشقي (وفي رواية الحمصي) وَلم يعدها البَاقُونَ.

﴿من اليمّ ما غشيهم﴾[٧٨]، عدها الكوفي دون الباقين.

﴿وعدًا حسنًا﴾[٨٦]، عدهَا الْمدنِي الْأَخير (وفي رواية الدمشقي) وَلم يعدها الْبَاقُونَ.

﴿غَضْبَان أسفًا﴾[٨٦]، عدهَا الْمدنِي الأول والمكي (وفي رواية الحمصي) وَلم يعدها البَاقُونَ.

﴿فكذلك ألْقى السامري﴾[٨٧]، لم يعدّها المدني الأخير (وفي بعض الروايات الدمشقي والحمصي).

﴿وإِلَه مُوسَى﴾[٨٨]، عدهَا المدنِي الأول والمكي وَلم يعدها البَاقُونَ.

﴿فنسي﴾[٨٨]، لم يعدها المدني الأول والمكي.

﴿إليهم قولًا﴾[٨٩]، عدها المدني الأخير (وفي بعض الروايات الدمشقي والحمصي).

﴿إِذْ رَأَيْتهمْ ضلُّوا﴾[٩٢]، عدّها الكوفي دون الباقين.

﴿قاعًا صفصفًا﴾[١٠٦]، لم يعدّها المدني الأول والأخير والمكي، وعدها الباقون.

﴿منّي هدًى﴾[١٢٣]، لم يعدها الكوفي (وفي بعض الروايات الحمصي).

﴿معيشة ضنكًا﴾[١٢٤]، عدها الحمصي ولم يعدها الباقون.

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾[١٣١]، لم يعدها الكوفي (وفي رواية الحمصي).

عدد آيات السورة ١٣٢ بالبصري، و١٣٤ بالمكي والمدنيين، و١٣٥ بالكوفي، و١٣٨ بالحمصي، و١٤٠ بالدمشقي.

انظر: الداني، البيان، ص٨٨- ١٠٨، ١٨٣- ١٨٦.

وانظر أيضًا: Spitaler, Verszählung, p. 36-7. 67.

أمّا الدمشقي فمستبعد في أربعة مواضع، نتيجة غياب الفاصلة عند قوله: ﴿تقرّ عينها ولا تحزن﴾[الآية: ٤٠]، ﴿وفَتنّاك فُتونًا﴾[الآية: ٤٠]، ﴿في أهلِ مَدْيَن﴾[٤٠]، ﴿واصطنعتك لنفسي﴾[٤١]. وكذلك الحمصي فلا فاصلة عند: ﴿فاقذفيه في اليمّ﴾[٣٩]، ﴿وفتنّاك فتونًا﴾[٤٠]، ﴿واصطنعتُك لنفسي﴾[٤١]، بينما ترِد عند قوله: ﴿محبَّة منِّي﴾[٣٩]. وكذلك يُستبعد الكوفي في ثلاثة مواضع لغياب الفاصلة في الآية الأولى عند قوله: ﴿طه﴾، (وهو أمر يمكن استنباطه بالنظر إلى موقع علامة التعشير)[(١)]، وعند قوله: ﴿واصطنعتُك لنفسي﴾[٤١]، وبسبب وجود الفاصلة عند: ﴿محبَّة منِّي﴾[٣٩]. وإذا جئنا إلى النظام البصري، نجده مستبعدًا أيضًا في ثلاثة مواضع لوجود الفاصلة عند: ﴿وَنذكرك كثيرًا﴾[٣٤]، وعند: ﴿محبَّة منِّي﴾[٣٩]، ولغيابها عند: ﴿وفَتنّاك فُتونًا﴾[(٢)(٣)].

ووجود علامة التعشير عند: ﴿يا موسى﴾ في الآية الحادية عشرة، و﴿الأولى﴾ في الآية الحادية والعشرين، فضلًا عن ﴿أزري﴾ في الآية الواحدة والثلاثين يتفق مع العدّ في كلّ الأمصار إلا الكوفي. ومع ذلك فإن وجود علامة

(١) تأتي علامات التعشير عند قوله: ﴿يا موسى﴾[الآية الحادية عشرة]، ﴿الأولى﴾[الآية: ٢١]، وعند: ﴿أزري﴾[الآية: ٣١]، ﴿يا موسى﴾[الآية: ٤٠].

(٢) بسبب رداءة الصورة لا يمكنني الجزم بوجود فاصلة عند قوله: ﴿نسبّحك كثيرًا﴾[الآية: ٣٣]. ومن المتوقع وجودها هنا ليكون هناك انسجام مع الفاصلة في: ﴿وَنذكرك كثيرًا﴾[الآية: ٣٤].

(٣) عند اختلاف الروايات في العدّ بحسب مصرٍ من الأمصار، لا ألتفتُ لهذا المصر؛ فلا يكون هناك اتفاق أو تباين.

التعشير عند: ﴿يا موسى﴾ في الآية الأربعين لا يتفق إلا مع الكوفي والمكي والمدني.

سورة لقمان، الآيات (٢٤- ٣٤)[١]:

هناك علامة تعشير عند كلمة: ﴿شَكُور﴾[لقمان الآية: ٣١]، لتمييز الآية الثلاثين. ويتفق هذا مع المكي والمدني دون الكوفي والبصري والشامي. ولا توجد فاصلة عند قوله: ﴿لَهُ الدِّين﴾[الآية: ٣٢]. ويتفق هذا مع الكوفي والمدني والمكي ويخالف البصري والشامي. وخلاصة القول أنّ البصري والشامي مستبعد في موضعين، والكوفي في موضع واحد، وتتفق فواصل الآي مع المكي والمدني[٢].

سورة السجدة ٣٢، الآيات (١ - ٤)[٣]:

لا توجد فاصلة عند: ﴿الم﴾، ووَحْدَه الكوفي مَن يضع الفاصلة هنا؛ ولذا استبعدناه.

---

(١) مصاحف صنعاء، رقم٤، ص٥٩ (في النسخة الإنجليزية)، وتقابل ص٤٤ (في النسخة العربية).

(٢) الداني، البيان، ص٩١، ١٠٦، ٢٠٦؛ وانظر أيضًا: Spitaler, Verszählung, p. 51.

(٣) مصاحف صنعاء، رقم٤، ص٥٩ (في النسخة الإنجليزية)، وتقابل ص٤٤ (في النسخة العربية).

www.Quranonlinelibrary.com

سورة الحشر، الآيات (٤ – ١٠)[١]:

لا توجد فواصل آي مختلف فيها في سورة الحشر، ولا تشتمل قطعة الورق الصغيرة هذه على أيّ اختلافات[٢].

الخلاصة:

لا ترِد أيٌّ من المواضع المختلف فيها التي تميز بين المكي والمدني الأول والأخير في المقاطع القرآنية المتاحة للدراسة التي بين أيدينا، لكنها تشتمل على العديد من المواضع المختلف فيها التي يمكنها التمييز بين هذه الطرق الحجازية الثلاث مجتمعة من جانب وبين طرق باقي الأمصار. وعند النظر في هذه الحالات، يتجلّى لنا نمط مثير للدهشة: فهناك أربع عشرة حالة كان من الممكن أن يسفر وجود الفاصلة أو غيابها عن استبعاد النظام الحجازي لصالح مصرٍ آخر من الأمصار، لكن في كلّ حالة منها بقيت طريقة الحجاز حاضرة معنا، واحتمال أن يكون هذا النمط وليد الصدفة يكاد يكون معدومًا. وقد اسُتبعد بشكلٍ قاطع النظام الكوفي والبصري والدمشقي والحمصي؛ فقد غابت هذه الأمصار في كلّ مرّة كانت المفاضلة بينها وبين الحجاز (بواقع ست مرات للكوفي وسبع للبصري وثمان للشامي). وفي هذا تطابق مذهل بين ما جاء في كتب القراءات وبين دليل المخطوطات.

---

(١) الصورة رقم: 152257-B في القرص المدمج لمنظمة اليونسكو.

(٢) انظر: الداني، البيان، ص٢٤٣؛ وانظر أيضًا: Spitaler, Verszählung, p.30.

المبحث الثالث: النصّ السفلي في طرس صنعاء (١):

عرض المشكلة:

إنّ النصّ السفلي قديم قِدم الرقّ المكتوب عليه (كما مَرّ معنا من قبل)، وكذلك الكلمات والعبارات الواردة فيه قديمة على الأقلّ قِدَم النصّ. وبفضل التأريخ بالكربون المشع فإنّ الرّق يعود إلى مرحلة زمنية سابقة على وفاة عثمان في سنة ٦٥٦م، وذلك بنسبة ٩١.٨٪ في حين يعود تاريخه لسنة سابقة على عام ٦٦١م، بنسبة ٩٥.٥٪. ويمكن الجزم بنسبة ٩٨.٨٪ بأنّ الرق يعود لفترة زمنية تسبق عام ٦٧١م. والأرجح أنه ظهر بعد وفاة النبي بفترة لا تتجاوز ١٤ سنة، وتبلغ احتمالية هذا الأمر ٧٥٪ أو ثلاثة إلى واحد. بل هناك احتمال بنسبة ٥٦.٢٪ أنه ظهر في غضون أربع سنوات من وفاة النبي. (لمزيد من التفاصيل، انظر الجدول ١). ومما يقوي الاحتمال بأن تكون طرس صنعاء (١) قد ظهرت في النصف الأول من القرن السابع أنه بعد الجمع العثماني قرابة سنة ٦٥٠م، أضحت كتابة المصحف غير القياسي أقلّ شيوعًا، ومَن خالفَ الأوامر وأبقَى على مصحفه القديم كانوا أقلية محدودة؛ وسرعان ما هيمن المصحف الإمام وأصبح السائد كما أوضحتْ سجلّات المخطوطات والمصادر الأدبية.

وفي كلّ الأحوال، فإنّ تاريخ النصّ السفلي يعود لعصر الصحابة؛ ولذا فهو نسخة مبكّرة من مصحف صحابي (C-1). وبهذا يكون التقليد النصي للمصحف (C-1) معاصرًا للتقليد العثماني؛ إِذْ يعودان لعصر الصحابة. ومع

ذلك، ما زال لدينا المزيد لنسلِّط الضوء عليه. وفي البحث الذي بين أيدينا أسعى لتحديد مدى قِدَم طريقة كتابة الكلمات في أحد المصاحف مما يجعله مصدرًا لمصحف آخر أو نسخة دقيقة مأخوذة من مصدر مشترك لهما.

وثمة مقاربتان في التعامل مع هذه المسألة يمكن طرحهما جانبًا لما يشوبهما من سطحية في الطرح؛ أولًا: من السذاجة القول بأنه نظرًا لوجود احتمال في أن يكون المصحف (C-1) سابقًا على المصحف العثماني، أن يلزم من ذلك أن تكون طريقة كتابة الكلمات فيه أقدم من النوع النصِّي العثماني. فلو أنّ المقصود من لفظ «سابق على المصحف العثماني» أنّ تاريخه أسبق من الجمع العثماني، فيمكن القول كذلك بأنّ النوع النصِّي العثماني «سابق على المصحف العثماني». فإنّ طريقة كتابة الكلمات في المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار من الممكن أن تكون سابقة على الجمع العثماني، تمامًا مثلما أنّ عثمان ولجنة الجمع التي عيّنَها والمواد التي استخدموها كانت موجودة بالفعل قبل سنة ٦٥٠م. ولتجنّب أيّ تحيّز مسبق في هذه المسألة، فإني أستخدم عبارة: «غير عثماني» بدلًا من «سابق على المصحف العثماني» في الحديث عن مصحف C-1 والتقاليد النصّية الأخرى التي تعود لزمن الصحابة.

ثانيًا: من السذاجة كذلك القول بأنّ النصّ العلوي جاء بعد السفلي في هذه المخطوطة؛ ولذلك فإنّ طريقة كتابة الكلمات في المصحف العثماني لا بد أن تكون متأخّرة عن المصحف C-1. وهذا كمن يفترض أنّ النصّ العلوي حين

ظهر كان ممثلًا للتقليد العثماني برمّته، بمعنى أن طريقة كتابة الكلمات في مصحف عثمان لم تكن موجودة قبل ظهورها في هذه المخطوطة تحديدًا. لكن لا بد أن النصّ العلوي واحد من مخطوطات عثمانية لا حصر لها كانت متداولة آنذاك، وهي حقيقة تعزّزها سجلات المخطوطات وأدلة المصادر الأدبية، والمنطق السليم[١]. ومن المستبعد أيضًا أن يكون النصّ السفلي ممثلًا لبداية التقليد النصي لمصحف C-1 ونهايته. بعبارة أخرى، إذا تحدّثنا عن كتاب ما، فلا بد للمرء أن يميز بين الكتاب بصورته المادية الملموسة، وبين الكتاب بمعنى النصّ؛ لأن طريقة كتابة الكلمات دائمًا ما تكون أسبق من النصوص، وظهور مصحف بعد آخر لا يلزم منه أن طريقة الكتابة متأخّرة. والطبقة العليا في طرس صنعاء (١) بدلًا من أن تكشف عن نشأة التقليد النصِّي العثماني يُحتمل أن تجسّد إقحامها على تقليد نصِّي معاصر امتاز به المصحف C-1. وهي احتمالية لا يمكن استبعادها على الأقل قبل وضعها موضع الدراسة والتحليل.

لهذا يبقى السؤال الأساسي مطروحًا: ما العلاقة بين النوع النصِّي في مصحف عثمان ومصحف الصحابي C-1؟ هل من الممكن البتّ في تقدّم أحدهما على الآخر؟ وهو سؤال يستدعي إعمال النقد النصِّي ونموذج النقل

(١) الأوراق الموجودة من المخطوطة التي تعود للقرن الأول هي أوراق كبيرة ومتينة وباهظة الثمن فلا بد أنها جزء من مخطوطات مبكّرة ذات جودة عالية؛ وفي الواقع فإنّ المخطوطات باهظة الثمن عالية الجودة تمثل جزءًا بسيطًا من مجموع المخطوطات التي كانت موجودة.

النصِّي. وأرى أن أفضل نموذج يبيّن أصل هذه الاختلافات بين التقليد النصِّي العثماني والتقليد النصي في مصحف C-1 هو الإملاء، وإن لم يكن إملاء كلمة بكلمة. ولك أن تتخيل صحابي من صحابة النبيّ يبذل وسعه في كتابة آيات من القرآن تُتلى تلاوة سريعة تفوق قدرته على تسجيلها بدقّة متناهية، وقد نجح الصحابي في كتابة أغلب العبارات بشكلٍ دقيق، وهذا يفسّر القواسم المشتركة بين عدد من مصاحف الصحابة والتقليد النصِّي لمصحف عثمان؛ إلا أنه تبقى هناك مجموعة من الاختلافات. وقد نُسخ نصّ مصحف الصحابي C-1 في حينه وربما نُسخت النُّسَخ نفسها مما أدى إلى ظهور تقليد نصِّي خاصّ بالمصحف C-1، وشجرة نسب للنصوص وثيقة الصلة شكّلَت النوع النصي لمصحف C-1 الذي ينتمي إليه النصّ السفلي في طرس صنعاء (١). ووفق هذا السيناريو، فإنّ عمليات النّسخ المتكرّرة لا تستلزم بالضرورة وجود إملاء، لكن النموذج الأصلي C-1، نفسه انبثق من عملية الإملاء.

والاختلافات النصية بين مصحف C-1 والمصحف الإمام شبيهة على نحو مثير بالاختلافات التي ترِد في الأحاديث والآثار في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وحينها كانت الكتابة قد أضحت أمرًا شائعًا وكادت معايير سلامة النقل أن تبلغ ذروتها. ومع ذلك هناك اختلافات تظهر من آنٍ لآخر بين نسختين من نصّ يُمليه مصدر واحد، ولم تقتصر هذه الاختلافات على ما شاع من أخطاء النسّاخ؛ فالكثير من هذه الأخطاء يقع في عملية الإملاء كذلك، لكنها

تضمّنت اختلافات تتجلّى في الجوانب الشفهية والسماعية لعملية النقل عبر الإملاء. ويمكن للأفكار التي تشكّلت من معايشة هذه المرحلة في نقل الحديث أن تلقِي بظلالها على دراسة مصاحف الصحابة؛ ولذا مثلًا عند المقارنة بين الاختلافات في روايات الحديث الواحد نجد مجموعة شائعة من الكلمات تكون أكثر عرضة للتفاوت نظرًا لأنها عادة ما يصعب حفظها. ومن أمثلة ذلك في العربية الألفاظ الوظيفية مثل حروف الجر والعطف والنصب ونحو ذلك، ولعلّ من أبرز الاختلافات في روايات الحديث استبدال كلمة بأخرى قريبة منها في الصوت أو تغيير في بنية الكلمة لا يغير المعنى، وهي تغييرات تقلّ عادة في النقل الكتابي[١].

(١) بنيت هذه الاستنتاجات على دراسة العديد من الاختلافات في رواية الآثار وقد قارنت بين الإسناد والمتن في هذه المرويات ضمن كتاب يجري إعداده حاليًّا عن الإسلام المبكر.

أثر شبه الشفاهية: الأنماط الحاكمة للمستوى الأول من اختلافات النقل بالإملاء:

من علامات الإملاء -أو الإملاء الذي لا تُقابل نتيجته على الأصل- أن التغييرات تتكرّر بصورة أكبر مما عليه الحال في النقل الكتابي[١]. وفي كِلا نوعي النقل، تؤدِّي ذاكرة الناسخ دورًا ما، فتحتفظ بالكلمات بين مرحلتي الرؤية أو السماع والكتابة. ومع ذلك يكون للذاكرة دور أكبر في عملية الإملاء؛ ولهذا أسباب عدّة: فما لم تتم عملية الإملاء بوتيرة بطيئة، يكون على الناسخ أن يباشر أمرين في آنٍ واحد، أن يستمع إلى الكلمات الجديدة ويكتب السابقة، مما يجعل من السهل الوقوع في الأخطاء. كذلك، في الإملاء لا يقع نظر الناسخ على الكتابة التي يمكن أن تصوب ذاكرته، كذلك فإنّ الناسخ في الإملاء يُرجح أن ينسخ جملة بجملة أو عبارة بعبارة بدلًا من كلمة بكلمة، مما يجعله أكثر عرضة لنسيان الكلمات المتلوّة بالضبط[٢]. وكلما زادت سرعة التلاوة، كان العبء أكبر على ذاكرة الناسخ، ونجمَ عن ذلك اختلافات أكبر.

وعلاوة على العدد الهائل للاختلافات، هناك اختلاف نوعي؛ إِذْ ينجم عن كلّ طريقة من طرق النقل أنواع مختلفة من التغييرات بنسب مختلفة، فبعض

---

(١) من باب الاختصار تشير كلمة إملاء في هذا البحث إلى نوع الإملاء الذي لا يتم فيه مراجعة النصّ وتصويبه في ضوء المخطوط. وفي حال التصويب في ضوء الأصل، إمّا بالنظر فيما كُتب أو بمقابلته متلوًّا على الأصل، يتم التخلص من كثير من الاختلافات.

(٢) نبّهني إلى مسألة نسخ عبارة بعبارة روبرت والتز (في اتصال شخصي سنة ٢٠٠٩م).

هذه الاختلافات أكثر شيوعًا في الإملاء وبعضها أكثر وقوعًا في النقل الكتابي. على سبيل المثال، فإنّ الإملاء يحدّ من وقوع أخطاء لا معنى لها تكون العين سببًا فيها؛ مثل إسقاط حروف أو تصحيف لا معنى له، أو تكرار الحروف أو الكلمات، أو أخطاء نتيجة انتقال عين الناسخ من كلمة لأخرى شبيهة في موضع آخر في الصفحة، ومع ذلك يظلّ من الممكن وقوع أخطاء لا معنى لها تتسبب فيها يدُ الناسخ[١].

في الغالب تسير التغييرات الناجمة عن الإملاء وفق أنماط محدّدة تتفق مع حدود الذاكرة البشرية، وربما كان من المناسب أن نشير إلى أبرز التغييرات الأساسية في هذا الصدد بعبارة: «تغييرات المستوى الأول». وهذا النوع من التغييرات هو الأكثر احتمالًا، وبالتالي أكثر شيوعًا بسبب حدود الذاكرة، ويمكن أن تقع هذه التغييرات حتى عند توخِّي الحذر أثناء الإملاء. ومع ذلك تتجاوز التغييرات المستوى الأول إذا لم يراعِ الناسخ الدقة أو إذا كانت وتيرة

(١) من بين التغييرات التي تشيع في الإملاء ما يمكن تصنيفه ضمن ما أسماه ميتزجر: «أخطاء العقل». وفيما يخصّ مخطوطات العهد الجديد، يرى ميتزجر أنّ «فئة أخطاء العقل تتضمن هذه الاختلافات التي نشأت على ما يبدو أثناء احتفاظ الناسخ بعبارة أو سلسلة من الحروف في ذاكرته في الفترة ما بين النظر إلى المخطوطة التي ينسخها وكتابة ما رآه» (انظر: Metzger, *Text*, p. 192). ويوثق أخطاء العقل التي تتضمن مواضع استخدام المترادفات، وترتيب الكلمات، والإبدال والإدغام (انظر المرجع نفسه، ص١٩٢– ١٩٣). لاحظوا دور الذاكرة في النقل النصِّي والإملاء، ومع ذلك فإنّ لها دورًا أكبر في الإملاء مما يوضح سبب شيوع أخطاء العقل في طريقة النقل بالإملاء.

التلاوة سريعة أو إذا زادت المدة الزمنية بين سماع النصّ المتلوّ والكتابة[١].

وبعبارة محددة يمكن تناول اختلافات المستوى الأول في ضوء خمسة عناوين رئيسة:

١ – تغييرات ذات عناصر بسيطة: إنّ أكثر العناصر اللغوية استخدامًا هي ما أسميه اختصارًا «البسيطة»، وهي أكثر فئة في الوحدات الصرفية عرضة للزيادة أو الإسقاط أو الإبدال، إِذْ يصعب حفظها. وتشمل العناصر البسيطة الوحدات الصرفية الوظيفية مثل أدوات التعريف وحروف الجر والضمائر وأدوات العطف وبعض البادئات واللواحق. كما تشمل هذه العناصر كلمات مثل: ﴿الله﴾ التي ترِد في القرآن ٢٦٨٩ مرة، ومن العناصر البسيطة التي تكون موضعًا للتغيير حرفَا الواو والفاء، وإذا كانت هذه التغييرات ترِد في النقل الكتابي، فإن وقوعها في الإملاء أكبر.

(١) تزوِّدُنا كتب الحديث بأدلة كثيرة حول مختلف طرق النقل بدايةً من النقل الشفهي المحض إلى الكتابي. وتتسق التغييرات في مجال الحديث مع نمط الشفاهية الكاملة تقريبًا في فترة زمنية معيّنة من القرن الأول الهجري ثم تنتقل إلى تغييرات ذات مستوى عالٍ بحلول نهاية هذا القرن (مما يشير إلى طريقة نقل تجمع بين الكتابة والشفاهية)، ثم تتحوّل إلى أنماط متوافقة مع المستوى الأول أو النقل الكتابي بنهاية القرن الثاني الهجري، وتحدث هذه التحوّلات بمعدلات مختلفة في دوائر متنوعة للنقلة. وجدير بالذِّكْر أنه في بعض المراحل يمكن أن يجمع نقل الأحاديث بين أشكال نَسْخ أخرى غير الإملاء تجمع بين الكتابة والشفاهية، مثل تدوين الملاحظات.

يوضح الملحق (١) وجود خمسة وثلاثين اختلافًا في مصحف C-1 من الاختلافات البسيطة مقارنة بمصحف عثمان، من بينها اثنا عشر موضعَ سقطٍ، وتسعة عشر موضعَ إبدالٍ (منها ثمانية ضمائر) علاوة على أربعة مواضع إضافة. وجدير بالذِّكْر أنّ هناك تطابقًا وثيقًا بين مصحف C-1 والمصحف العثماني وأن هذه الاختلافات ما هي إلا استثناء حين يتعلّق الأمر بالعناصر البسيطة، ولا يدع هذا مجالًا للشكّ في أن النقل تضمّن عملية الكتابة (كما في الإملاء) ولم يقتصر على النقل الشفاهي.

تتعلّق المبادئ المتبقية التي ستأتي معنا بعناصر أخرى غير بسيطة؛ لذا أسميتها تغييرات «كبرى». وفي الإملاء، تشكّل التغييرات الكبرى جزءًا أكبر من الاختلافات مقارنة بالنقل الكتابي، وهذه نتيجة طبيعية لدور الذاكرة الكبير في عملية الإملاء.

٢- إسقاط عناصر كبرى: كثيرًا ما ننسى أمرًا أو نستحضره بصورة مختلفة عن طريقة تذكرنا لشيء لم يسبق أن سمعنا به من قبل؛ ولهذا فإن إسقاط الكلمات (أو تغييرها) عادة ما يكون أيسر من إضافة كلمات أخرى. وعلاوة على ذلك، من السهل أن ننسى كلمة إذا كانت عنصرًا في لائحة، وزيادة فرص حدوث سقط مقارنة بالإضافة هو سمة مشتركة بين الإملاء والنقل الكتابي[(١)].

(١) في حالة الإملاء، من المنطقيّ أن تحدث حالات سقط بسهولة أكبر من الإضافة، لكن السقط يشيع أكثر في طرق النقل الأخرى. وقد اعتقد علماء العهد الجديد أنه مع ثبات المتغيرات الأخرى فإن القراءة الأقصر ضمن قراءتين هي التي =

وبوجه عام، إذا كان الاختلاف بسيطًا أو إذا كان إسقاطًا لكلمةٍ ما، فلا تكون هناك حاجة لإيراد تفسير خاصّ لسبب وقوعه. أمّا لو جمع الاختلاف بين الأمرين، فإن سبب وقوعه أكثر جلاء ووضوحًا. وفي المقابل إذا كان الاختلاف من نوع الإضافة، فهنا لا يمكن اعتباره من المستوى الأول بداهة، ويتوجّب على المرء أن يبحث عن آليات للمستوى الأول تفسر سبب وقوعه، ومن هذه الآليات حدوث تداخل أو اختلافات متناظرة.

=

يزداد احتمال أصالتها. وقد عورضت هذه الفكرة في مطلع القرن العشرين على يد ألبرت كلارك الذي اكتشف أن السقط أكثر شيوعًا في المخطوطات اللاتينية واليونانية الكلاسيكية؛ وقد أدى هذا إلى انقسام الآراء في هذا المجال. انظر:

Metzger, *Text*, p. 161-3; cf. Burnett Streeter, *The Four Gospels: A Study of Origins*, 4th ed. rev., London, Macmillan, 1930, p. 131;

وعلى خطى كلارك سار ستريتر الذي رأى أن الخطأ الذي كان النسّاخ أكثر عرضة للوقوع فيه ليس الإقحام وإنما السقط سهوًا. وقد أكدت دراسات حديثة للقراءات الفردية في البرديات على أن السقط هو الأكثر شيوعًا. انظر:

J.R. Royse, "Scribal Habits in the Transmission of New Testament Texts", in *The Critical Study of Sacred Texts*, ed. W.D. O'Flaherty, Berkeley, Graduate Theological Union, 1979, p. 139-61; J.R. Royse, "Scribal Tendencies", p. 239-52; Peter M. Head, "The Habits of New Testament Copyists: Singular Readings in the Early Fragmentary Papyri of John", *Biblica*, 85 (2004), p. 399-408.

والمقصود بالقراءات الفردية تلك التي تختصّ بمخطوطة معينة، وتستوعب عددًا هائلًا من التغييرات التي تَسبَّب فيها النسّاخ؛ ولذا يمكن الإفادة منها في دراسة عادات النّساخ وما انفردوا به. ويمكن الوقوف على هذه المنهجية من خلال المصادر المذكورة أعلاه، وانظر أيضًا:

E.C. Colwell, "Scribal Habits in Early Papyri: A Study in the Corruption of the Text", in *The Bible in Modern Scholarship: Papers read at the 100th Meeting of the Society of Biblical Literature*, ed. J.P. Hyatt, Nashville, Abingdon Press, 1965, p. 370-89.

٣- التداخل الذاتي (*Auto-contamination*): ويُقصد بهذا الأثر الذي يخلفه جزء من القرآن على جزء آخر ضمن تقليد نصّي واحد، ويختلف عن التناظر في الفروقات والاختلافات (cross-contamination) الذي يشير إلى تأثر تقليد نصي، مثل C-1 في موضعٍ ما بتقليد نصّي آخر، مثل العثماني أو التقليد النصّي لمصحف ابن مسعود، ويتخذ التداخل الذاتي شكلين: (أ) استيعاب النظير. (ب) استيعاب الألفاظ القريبة.

(أ) استيعاب النظير[١]: يُراد به أن يغيّر الناسخ النصّ ليجعله أقرب لفقرة مناظرة في العمل الذي ينسخه (التداخل الذاتي) أو في فرع آخر من التقليد النصّي (التناظر). وما يعنينا هنا هو النوع الأول، أي: استيعاب النظير بالتداخل الذاتي.

إنّ القرآن كتاب متشابه كما يطلق على نفسه (سورة الزمر: الآية ٢٣). وهو حافل بالعبارات والجمل المتكررة التي تختلف في كلمة أو كلمتين أو بضع كلمات؛ ولذا فإنّ حفّاظ اليوم كثيرًا ما يجدون أنفسهم يضيفون كلمة بدون قصد أو يبدلونها إذا كانت مذكورة في موضع مشابه في آية أخرى، وتؤثّر معرفة الشخص بهذه المواضع الأخرى في تذكر الآية الحالية واستحضارها، مما ينتج

(١) استيعاب النظير أو التجانس هو أحد أسباب التغيير الشائعة في مخطوطات العهد الجديد. انظر:

Burnett Streeter, *The Four Gospels*, p. 139-44; E.C. Colwell, "Scribal Habits", p. 377-8; Metzger, *Text*, p. 193, 197-9; Peter M. Head, "Observations on Early Papyri of the Synoptic Gospels, Especially on the 'Scribal Habits,'" *Biblica*, 71 (1990), p. 240-7; Head, "Habits".

عنه إبدال أو إسقاط أو إضافة. وفي الإملاء تتأثّر الذاكرة والسماع بعلاقات الترابط الناجمة عن التعرّض للقرآن من قبل. وإذا كان استيعاب النظير يقع في النقل الكتابي، فهو أكثر شيوعًا في الإملاء بسبب دور الذاكرة الكبير في هذا النوع من النقل[١].

ولا يستلزم الإسقاط أو التغيير البسيط أيّ توضيح إضافي، فمن الممكن أن يقع بشكل طبيعي ضمن تحوّلات المستوى الأول، وإذا كان الاختلاف عرضة للتداخل الذاتي كذلك، فإنّ وقوعه أمر مفهوم وأكثر وضوحًا. أمّا الإضافات التي تشتمل على عناصر كبرى فهي مختلفة فلا تقع بهذه السهولة التي نشهدها في حالات الإسقاط، ولا يمكن اعتبارها تغييرات من المستوى الأول ما لم يُستعَن في توضيحها بآلية من آليات المستوى الأول مثل استيعاب النظير.

(ب) استيعاب الألفاظ القريبة: من المحتمل بصورة كبيرة أن يقع خطأ في استخدام كلمةٍ ما عند مرحلة معينة إذا كانت موجودة بالفعل في موضع آخر قريب؛ فقد تعلّق كلمة في ذهن الناسخ إذا كان قد سمعها منذ لحظات أو يتوقّع

(١) إذا كان الناسخ الذي يُملى عليه يقابل النصّ الذي كتبه على الأصل ويدخل التصويبات اللازمة فعندئذ ستختلف النتيجة، إذْ تقلّ التغييرات عن المتوقع في عملية الإملاء وحدها، وتحديد دور هذا النوع الحذر من الإملاء في نقل المصحف العثماني هو أمر جدير بالبحث والدراسة.

سماعها قريبًا في ظلّ دراية سابقة بالفقرة التي بين يديه، وهنا تتسلّل هذه الكلمة إلى النصّ[١].

٤- الاستصحاب الصوتي في مواضع الإبدال الكبرى: بسبب البُعد السماعي عند حدوث تغيير في عنصر كبير، سوف يبدو مثل الأصل في غالب الأحيان. على سبيل المثال، قد تأتي نفس الكلمات في ترتيب مختلف أو قد يُستخدم فعل بدلًا من آخر من نفس الجذر، ويوضح الجدول السادس بعض أنواع الاستصحاب الصوتي.

الجدول (٦): أنواع الاستصحاب الصوتي للعناصر الكبرى مع الأمثلة.

نوع الاختلاف	الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1
ترتيب الكلمات (نقل)	سورة المائدة، الآية ٤١	ولهم في الآخرة	وفي الآخرة لهم
فعل مكان آخر من نفس الجذر	سورة البقرة، الآية ١٩٦	فما استيسر	تيسر
عود الفعل على فاعل مختلف	سورة الحجر، الآية ٦٥	تؤمرون	يؤمرون

(١) استيعاب النظير أو التجانس مع السياق هو نوع مهمّ من أخطاء النسّاخ في مخطوطات العهد الجديد. انظر:
Colwell, "Scribal Habits", p. 377-8; Royse, "Scribal Tendencies", p. 246; Head, "Observations"; Head, "Habits".

نوع الاختلاف	الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1
صيغة جمع مختلفة	سورة المائدة، الآية ٤٣(*)	النبيون	الأنبياء
مفرد في مقابل الجمع	سورة البقرة، الآية ٢١٩	الآيات	الآية
زمن الفعل أو تصريفه	سورة المائدة، الآية ٥٢	فيصبحوا	فيصبحون
المبنيّ للمعلوم في مقابل المبنيّ للمجهول	سورة المائدة، الآية ٤٧	أَنزَلَ اللهُ فيه	أُنزِل عليهم فيه

من بين مواضع الإبدال الكبرى التي بلغ عددها خمسة وعشرين موضعًا اختلف فيها المصحف C-1 عن مصحف عثمان، هناك ثمانية عشر موضعًا جاء الاختلاف فيها مشابهًا للأصل، وسبعة مواضع فقط كان الاختلاف غير مشابه. ويبين الملحق (١) هذه الاختلافات (في العناصر الكبرى) بين مصحف C-1 ومصحف عثمان مما تجلى فيها الاستصحاب الصوتي في حين يوضح الملحق ٢ (ج) الاختلافات التي اختلف فيها الصوت.

(*) وردت كلمة النبيون في الآية رقم ٤٤ من سورة المائدة وليست الآية ٤٣. (المترجم).

٥- الألفاظ المتكرّرة أو الشائعة: لا ينجم عن النقل من المستوى الأول إضافات بفعل التداخل الذاتي، وإن حدث فهي محدودة جدًّا. وعند وقوع هذه الإضافة، فلا بد أنها كلمة متكرّرة، وفي كلّ الأحوال لا تشمل تغييرات المستوى الأول إضافة كلمة غير متوقّعة أو غير شائعة.

كذلك فإنّ نقل المستوى الأول يسفر عن حالات محدودة من الإبدال لا يمكن تفسيرها بالاستصحاب الصوتي أو التداخل الذاتي، ومع ذلك يمكن أن تحدث حالات الإبدال هذه بصورة أيسر من الإضافة لأنه من السهل عدم تذكّر كلمة قيلت بدلًا من أخرى لم يسبق أن قيلت. وإذا حدث هذا، فإنّ الذاكرة عادة ما تستبدل كلمة مألوفة وتضع بدلًا منها أخرى مألوفة أو متكرّرة، أو تستبدل كلمة متكرّرة بأخرى متكرّرة، والكلمة المألوفة هي التي وردت في موضع آخر في القرآن (ويقلّ أن تستبدل الذاكرة كلمة متكرّرة بأخرى نادرة، ويندر أن تستبدل كلمة نادرة بكلمة مألوفة. والتغييران الأخيران لا يدخلان ضمن المستوى الأول).

ومع تراجع مستوى الدّقة والضبط في النقل بسبب سرعة الإملاء مثلًا أو نتيجة الاقتصار على النقل الشفهي، يتم التخفّف من بعض اتجاهات المستوى الأول، ومن المناسب هنا أن نشير إلى صور النقل الأقلّ دقّة بعبارة: «المستوى الأعلى»، ولا شَكّ أنّ ممارسات النقل ذات المستوى الأعلى تشتمل على مجموعة من السمات المميزة للإملاء التي مَرّ ذكرها معنا، لكنها تتضمّن فضلًا

عن ذلك أنواعًا إضافية من التغييرات. على سبيل المثال، يقلّ الالتزام بالاستصحاب الصوتي.

وأهم ما نلاحظه في مصحف C-1 أنّ اختلافاته مع المصحف الإمام لا تتجاوز المستوى الأول، وهذا يؤكّد لنا أنّ النموذج المناسب هو النقل بالإملاء لا الشفاهية المحضة، فالإملاء يفسِّر لنا الاتفاق بوجه عام بين مصحف C-1 ومصحف عثمان حتى في حال التغييرات البسيطة، كما يوضح سبب هذه الاختلافات، ويتجلّى دور السماع على وجه الخصوص في جزء كبير من الاختلافات في العناصر البسيطة، وفي الاستصحاب الصوتي في العناصر الكبرى، والدور الكبير للتداخل الذاتي.

والقول بأنّ الاختلافات بين مصحف عثمان والمصحف C-1 هي اختلافات من المستوى الأول يستدعي قضية الاتجاهية أو الجهة؛ فبعض الاتجاهات الخمسة المذكورة أعلاه غير متناظرة نظرًا لأنها تستوعب التغيير في اتجاه واحد بسهولة أكبر من الاتجاه الآخر، ويمكن استخدامها للوقوف على مدى سهولة الانتقال عبر الإملاء من مصحف (أ) إلى مصحف (ب) أو في الاتجاه المعاكس. وسوف أثبت أنّ الانتقال من مصحف عثمان إلى المصحف C-1 لا العكس كان من المستوى الأول، وهذه واحدة من طريقتين جرى استخدامهما هنا للإجابة على سؤال الأوليّة والترتيب.

أمّا الطريقة الأولى فتتعلق بعلم دراسة العلاقات بين النصوص وذلك باستخدام أنماط الاتفاق والاختلاف بين الأنواع النصّية، وفي هذا الصّدد يحتاج المرء إلى المقارنة بين ثلاثة نصوص على الأقلّ؛ ولذا أستعين بمصحف ابن مسعود وهو نصّ غير عثماني، ورغم عدم ورود ما يشهد له في المخطوطات إلا أنه مذكور في المصادر الأدبية، كما تتم المقارنة بمصاحف الصحابة الأخرى التي تتوافر لها المعطيات، وهذا المسلك يفترض مسبقًا وجود قدرٍ كبيرٍ من الحقيقة فيما أوردته المصادر الأدبية عن مصحف ابن مسعود، وهي نقطة تحتاج إلى بيان وتوضيح قبل المضيّ قُدمًا.

www.Quranonlinelibrary.com

مصحف ابن مسعود ومصاحف أخرى غير عثمانية:

تتحدّث المصادر الأدبية عن مصاحف للصحابة مثل مصحف ابن مسعود (الذي انتشر في الكوفة)[١]، ومصحف أُبَيّ بن كعب (في الشام والبصرة)[٢]، ومصحف أبي موسى الأشعري (في البصرة واليمن)[٣]، وآخرين. ومصحف عبد الله بن مسعود من بين غيره من مصاحف الصحابة لا يشتمل على المعوذتين ويبلغ عدد كلماتهما ثلاثًا وأربعين كلمة[٤]. ويختلف ترتيب السور في مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب، لكن طريقة ترتيب الآيات في السور هي نفسها المتّبعة في المصحف الإمام. ومع ذلك هناك اختلافات في بعض الأحيان على مستوى الكلمات والعبارات، وقد وردت هذه الاختلافات في عدد من

(١) للوقوف على دراسة لمصحف ابن مسعود، انظر: محمود راميار، تاريخ القرآن، ص٣٥٣- ٣٦٤.

(٢) للوقوف على دراسة لمصحف أُبيّ بن كعب، انظر المرجع السابق، ص٣٤٠- ٣٥٣.

(٣) للوقوف على دراسة لمصحف أبي موسى الأشعري، انظر المرجع نفسه، ص٣٨٠- ٣٨٤.

(٤) يُقال أيضًا أن مصحف ابن مسعود خلا من سورة الفاتحة (وعدد كلماتها خمس وعشرون كلمة). وقد يكون الأمر كذلك، لكن الأعظمي يرى أن هذا مخالف لما ثبت عن قراءة ابن مسعود الشاذة في سورة الفاتحة. ويذكر كذلك أن ابن النديم وقف على مصحف منسوب لابن مسعود مشتمل على الفاتحة (انظر كتاب الأعظمي عن تاريخ النص القرآني، ص٢٣٥- ٢٣٦. وانظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٩ ويذكر فيها أن المخطوطة تعود لسنة ٢٠٠ هجرية). وتجدر الإشارة إلى أن الأعظمي لم يذكر القراءات الشاذّة في سورة الفاتحة، وللاطلاع على المصادر الأصلية للأخبار التي تناولَت سورة الفاتحة والمعوذتين، انظر:

Modarressi, "Early Debates", p. 13, footnote 48; al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 236.

ويرفض الأعظمي هذه الأخبار ويرى أنها متناقضة (نفس المرجع)؛ ورغم ذلك لا يصعب الجمع بينها، وعند التحليل النهائي لا مفر من التسليم بوجود شكوك في صحة هذه الأخبار.

المصادر الإسلامية والأخبار التي تعود للقرنين الأول والثاني الهجري وأوردتها المصادر الأدبية الإسلامية؛ ومن السّذاجة القبول بصحة كلّ هذه الأخبار واعتبارها أوصافًا معتمدة لمصاحف الصحابة، لكن ثبت كذلك من النظر في المصحف C-1 أنه من غير المنطقي رفضها جميعًا.

ثمة خبر جدير بالنظر من بين الأخبار التي تناولتْ مصاحف الصحابة نظرًا لطبيعته المنهجية. وهو خبر مروي عن أحد القرّاء والمحدّثين الكوفيين البارزين في القرن الثاني الهجري، سليمان بن مهران الأعمش (ت. ١٤٧/ ٧٦٥، الكوفة). ويُورِد قراءة ابن مسعود في أكثر من ١٥٠ موضعًا[١]، تقتصر في عدد من المواضع على اختلافات في حرف واحد؛ كأن يُستخدم حرف الواو بدلًا من الفاء. كما يشتمل أيضًا على عدد من الاختلافات المهمّة مثل مواضع الإبدال والنقل والإضافة والإسقاط، وإن كانت في أغلبها لا تؤثّر في المعنى إلا قليلًا. وذِكْر الاختلافات الطفيفة علاوة على الطبيعة المنهجية لهذه اللائحة تعطي انطباعًا بأنها معتمدة على مصحف فعلي. وعلاوة على ذلك، فإن طائفة محدودة جدًّا من هذه الاختلافات تجسّد ما يبدو للوهلة الأولى تعديلًا لاحقًا أو أنها أُدخلت لتعزيز أهداف طائفية أو عقدية[٢].

(١) ابن أبي داود، المصاحف، ص٥٧- ٧٣.

(٢) من القراءات التي أوردها الأعمش عن ابن مسعود قراءة استوقفتني للآية السابعة من سورة آل عمران وجاء فيها: {وإن حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به} (ابن أبي داود، المصاحف، ص٥٩). ويُحتمل أن =

هناك العديد من القراءات الشاذّة المنسوبة لابن مسعود وأُبَيّ بن كعب، وتشتمل على إضافة عبارات غير موجودة في النصّ العثماني ولا يمكن تفسيرها في ضوء البُعد السماعي للإملاء، ومن الواضح أنّ هذه القراءات تدعم المذهب العلوي[١]. وكان من الطبيعي رفض هذه القراءات باعتبارها إقحامات مغرضة لكن أن نعمّم هذا الحكم السلبي على كلّ القراءات معناه أن نخلط الغثّ بالسمين، فمن المتوقّع أن تتفاوت مصادر القراءات غير العثمانية ويكون من بينها ما هو جدير بالثِّقَة عن غيره. وكما مَرّ معنا فإنّ قراءات ابن مسعود تحديدًا التي أوردها الأعمش ليست متحيّزة مغرضة، وهذا لا ينفي أن الأعمش لم يكشف لنا عن مصادره التي اعتمد عليها[٢]، وضرورة البحث عن هذه المصادر وطرق نقل قراءة ابن مسعود وغيرها من القراءات المخالفة للنصّ العثماني.

ومن النقاط الرئيسة فيما يخصّ نسخة الأعمش من مصحف ابن مسعود أنّ الاختلافات التي وردت فيها يمكن في معظمها أن تتوافق مع النصّ العثماني

=

يكون هذا تغييرًا متعمّدًا القصد منه إزالة اللبس الحادث في الأصل. وقد يعترض بعض النقاد ويرى أن هذا القول من قبيل نظرية المؤامرة، لكن ليس من عقلية المؤامرة القول باحتمالية وجود تغيير متعمّد في خبر آحاد (ربما أقرّه أو لم يقرّه الآخرون) بنفس النحو الذي نتحدّث به عن التغييرات المتعمدة التي أقرّتها مجتمعات بأكملها في نصّ سماوي معروف.

(١) للوقوف على التفاصيل، انظر: Modarressi, "Early Debates", p. 25-6.

(2) Al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 234

إذا راعينا تغييرات المستوى الأول. فالعناصر البسيطة تشكّل فئة كبيرة، وقد اتضح في الجدول (٧) أن استخدام المرادفات والميل إلى الاستصحاب الصوتي في التغييرات الكبرى هو أمر حاضر ملحوظ، وهناك دليل أيضًا على وجود التداخل الذاتي يتجلّى بشكلٍ كبير في استيعاب الألفاظ القريبة.

وعند مقارنة الجدول (٧ حول ابن مسعود) مع جدول (٦ حول المصحف C-1) تتجلى مواطن الشبه المذهلة، وفي العديد من الحالات نجد أن مصحف ابن مسعود (الذي وصلنا من طريق الأعمش) يرتبط بمصحف عثمان بطرق معهودة مثل التي يتّصل من خلالها المصحف C-1 بالمصحف العثماني، وهذا يضفي مصداقية على الوجود التاريخي لمصحف ابن مسعود ويوحي باشتماله على العديد من القراءات المنسوبة إليه. ولا أقصد بهذا أن مصحف C-1 ومصحف ابن مسعود يشتركان في قراءات مختلفة فعلية، وإن كان هذا هو الواقع في حالات قليلة، ولكنهما يشتركان في بعض أنواع الاختلافات. وبوجه عام، فإن كلّ نوع من الاختلافات الواردة في المصحف C-1 موجودة كذلك في مصحف ابن مسعود، ومع ذلك فإنّ مصحف ابن مسعود يشتمل على بعض أنواع الاختلافات من المستوى الأعلى التي لا ترِد في المصحف C-1. (وفيما يخص هذه الأنواع، لا يمكن القول بوجود دليل يعضدها من المخطوطات، مما يستلزم الحيطة والحذر حيال مدى صحتها). ومعنى هذا أنّ المصحف الإمام

إجمالًا أقرب لمصحف C-1 من مصحف ابن مسعود – من الناحية النوعية لا من حيث عدد الاختلافات.

وليست الاختلافات الشفهية وحدها هي التي يُثبت من خلالها مصحف C-1 تاريخية المصاحف غير العثمانية وصحة بعض الأخبار التي تناولتها، بل هناك أوجه الشبه في ترتيب بعض السور في مصحف C-1 وترتيب السور في مصحفي ابن مسعود وأُبيّ بن كعب كما يتضح من الجدول الثامن.

الجدول ٧: نماذج للاستصحاب الصوتي للعناصر الكبرى في مصحف ابن مسعود وعثمان. انظر الجدول (٦).

نوع الاختلاف	الآية	مصحف عثمان	مصحف ابن مسعود (من طريق الأعمش)
ترتيب الكلمات (النقل وإبدال الموضع)	١٥٦ من سورة آل عمران	وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
المرادف، فعلٌ له نفس الجذر	الآية ٢٠٢ من سورة البقرة	كسبوا	اكتسبوا
عود الفعل على فاعل مختلف	الآية ٨٣ من سورة البقرة	تعبدون	يعبدون
صيغة جمع مختلفة	الآية ٤٢ من سورة	الكفار	الكافرون

نوع الاختلاف	الآية	مصحف عثمان	مصحف ابن مسعود (من طريق الأعمش)
	الرعد		
مفرد مقابل الجمع	الآية ٣٧ من سورة سبأ	الغرفات	الغرفة
زمن الفعل	الآية ٤٤ من سورة الإسراء	تُسبّح	سبّحَت
البناء للمعلوم مقابل البناء للمجهول	الآية ١٧ من سورة السجدة(*)	قَالَ أَعْلَمُ	قِيل أَعْلَمُ

(*) وردت في سورة البقرة، الآية ٢٥٩ وليس كما ذكر المؤلف. (المترجم).

الجدول (٨) ترتيب السور في المصحف C-1 مقارنة بما روي عن مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب. والأرقام المذكورة تشير للترتيب في مصحف عثمان.

مصحف C-1	مصحف ابن مسعود	مصحف أُبيّ بن كعب
سورة المنافقون، الجمعة، الفجر، البلد.	اللائحة الواردة في الفهرست[١]: المنافقون، الجمعة، ... (تسع وعشرون سورة أخرى) سورة (الفجر، البروج، الانشقاق، العلق، البلد) لائحة الإتقان[٢]: نقلًا عن الأعمش سورة المنافقون، سورة الجمعة، ... (سبع وعشرون	لائحة الفهرست[٣]: سورة المنافقون، سورة الجمعة، سورة الطلاق، الفجر، ... سورة البلد لا ترِد في اللائحة. لائحة الإتقان[٤]: المنافقون، الجمعة، التحريم، الفجر، البلد.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩؛ انظر: رامیار، تاريخ القرآن، ص٣٥٦- ٣٥٩؛ وانظر أيضًا:

Neal Robinson, *Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text*, 2nd ed., London, SCM Press, 1996, p. 263-6; Arthur Jeffery, *Materials for the History of the Text of the Qurʾān: The Old Codices*, Leiden, Brill, 1937, p. 22.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، د.ت، دار الفكر، ١٤١٦/ ١٩٩٦، ج١، ص١٧٦؛ رامیار، تاريخ القرآن، ص٣٥٩- ٣٦١؛ وانظر أيضًا:

Robinson, *Discovering the Qurʾān*, p. 263-6; Jeffery, *Materials*, p. 23.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩- ٣٠؛ رامیار، تاريخ القرآن، ص٣٤٤- ٣٤٥؛ انظر:

Jeffery, *Materials*, p. 115.

(٤) السيوطي، الإتقان، ج١، ص١٧٥- ١٧٦؛ رامیار، تاريخ القرآن، ص٣٤٦؛ انظر:

Jeffery, *Materials*, p. 115.

مصحف C-1	مصحف ابن مسعود	مصحف أُبيّ بن كعب
	سورة أخرى)، سورة الفجر، سورة البروج، الانشقاق، العلق، البلد.	

تجدر الإشارة إلى أمرين فيما يخصّ ترتيب السور في المصحف C-1؛ الأول: أنه بسبب توالي سورتي المنافقون والجمعة، يمكن اعتباره أقرب إلى مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب من مصحف عثمان. الأمر الثاني: أنه أقرب بوجه عام إلى مصحف أُبيّ بن كعب من مصحف ابن مسعود.

أي نوع نصي هو الأسبق؟ الطريقة الأولى – شجرة انتقال النص:

أحاول الآن بناء شجرة النسب أو شجرة انتقال النصّ لثلاثة أنواع نصية هي مصحف ابن مسعود ومصحف عثمان والمصحف C-1 بناء على أنماط الاتفاق والاختلاف بينها. ومن المدهش أن يتفق مصحف ابن مسعود مع المصحف C-1 في عدة مواضع كما ورد في الجدول (٤) لكن الأمر الذي يثير الدهشة بصورة أكبر هو أنّ مواطن الاتفاق تلك أمر استثنائي. وعادة كلّما كان هناك اختلاف بين مصحف عثمان وابن مسعود (أو مصحف عثمان ومصحف صحابي آخر) نجد اتفاقًا بين مصحف C-1 ومصحف عثمان. بعبارة أخرى، في كلّ الحالات تقريبًا التي يَرِد فيها اختلاف بين المصاحف الثلاثة يكون مصحف عثمان في جانب الأغلبية: فإمّا أن يكون مصحف عثمان ومصحف C-1 في جانب مقابل مصحف ابن مسعود، أو مصحف ابن مسعود وعثمان معًا مقابل مصحف C-1. ونادرًا ما يكون مصحف عثمان وحده فلا يكاد يتفق مصحف ابن مسعود والمصحف C-1 مقابل مصحف عثمان؛ لهذا يحتل مصحف عثمان موقعًا مركزيًّا كما يأتي:

مصحف C-1 – مصحف عثمان – مصحف ابن مسعود.

تختلف شجرة انتقال النصّ باختلاف العُقدة التي تكون في الأعلى أو الأسفل من بين العُقَد الثلاث. ونتيجة للقيود التي يفرضها هذا النمط يقلّ عدد

الشجرات المحتملة للأنواع النصّية بما فيها النموذج الأصلي لتصبح ست شجرات بدلًا من ست عشرة كما يتّضح من الشكل الآتي، وقد أعطيت الرمز (a) حتى (f). وعند سحب عقدة النص العثماني لأسفل ترتفع العقدتان الأخريان لأعلى كما يتضح لاحقًا في الشكل (g)[1].

ويشير حرف (P) إلى «نموذج أصلي» كما أبين لاحقًا، ويُقصد بذلك النصّ الذي قرأه النبي. ويشير الرمز "IM" إلى النوع أو التقليد النصّي لمصحف ابن مسعود، والرمز "Ut‘" إلى النوع النصي لمصحف عثمان في حين استُخدم الرمز C-1 للنوع النصّي لمصحف الصحابي C-1. وإذا لم نفترض وجود نموذج أصلي، يصبح لدينا ثلاث شجرات نصية هي (a)، (b)، (e). وهذه الشجرات تنبثق من الخصائص الشفهية إذا اقتصرنا على نمط الاتفاق والاختلاف الشفهي بين المصاحف ونحّينا جانبًا الحالات الاستثنائية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هناك أسس أخرى لتفضيل شجرة نصية على أخرى؟ وتوضح الأشكال الآتية أسباب ترجيح الشجرة (e) والشجرة (f)، مع كون الأخيرة هي الأرجح. وتجدر الإشارة إلى أن ورود الرمز "Ut‘" الذي يشير إلى

(١) لمعرفة طريقة بناء شجرات انتقال النصّ، انظر:

L.D. Reynolds and N.G. Wilson, *Scribes & Scholars: A Guide to the Transmission of Greek & Latin Literature*, 3rd ed., Oxford, Clarendon Press, 1991, p. 211-3.

أدين بالفضل في الوقوف على هذا المرجع لمايكل كوك.

النوع النصّي لمصحف عثمان في الجانب الذي فيه الأغلبية يلزم منه إمكانية الوثوق به والاعتماد عليه بصورة أكبر من النوع النصي لمصحف ابن مسعود والمصحف C-1.

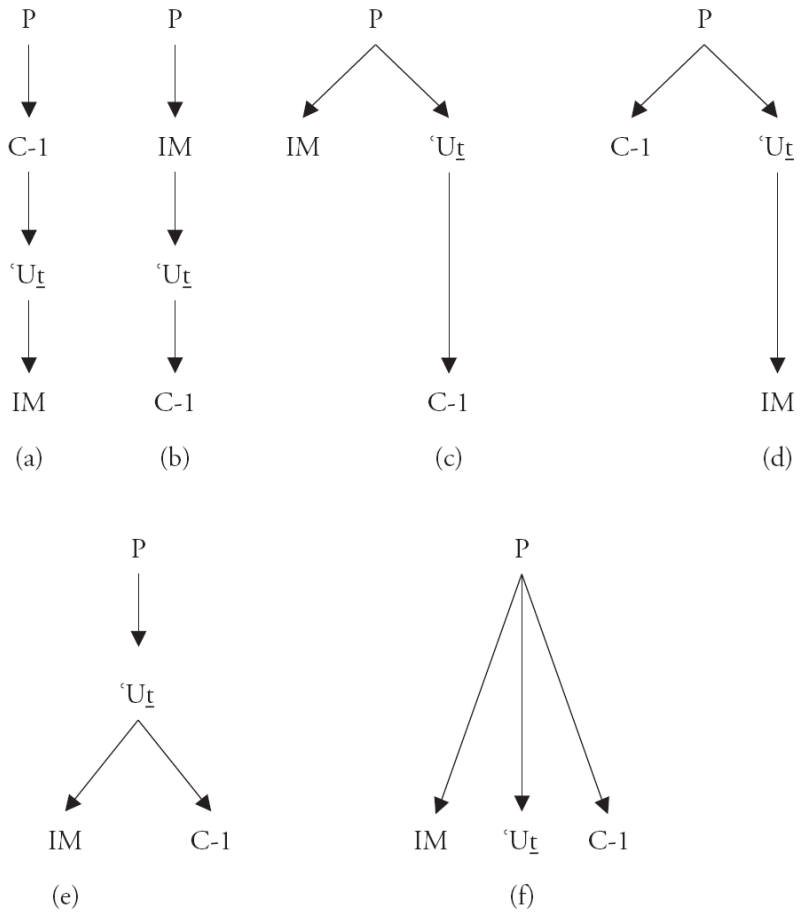

لا بدّ أن شجرات انتقال النصّ هذه تصف عملية النقل قبل توزيع مصحف عثمان؛ فمع توزيع عثمان مصحفه على الأمصار تطابقت النُّسَخ بشكل وثيق مع

مصادرها، ولم تختلف إلا في حرف أو حرفين[1]؛ ولذا كما ثبت بعد ذلك من دليل المخطوطات فإنّ التغييرات كانت من النوع المحدود الذي يُتوقّع في النقل الكتابي؛ ولهذا كان نطاق التغييرات الشفهية بعد انتشار مصحف عثمان صغيرًا نسبيًّا. وإذا كانت هذه الملاحظة لا تدلّ على شجرة انتقال النصّ، إلا أنها تبرز حقيقة مهمة تساعد في تقليص الخيارات، ألَا وهي التحوّل الجذري من طريقة نقل ينتج عنها تغييرات من المستوى الأول بسبب شبه الشفاهية إلى طريقة أخرى تنطوي على تغييرات بسيطة نسبيًّا معتادة في عملية النّسْخ من المخطوطات، وهذا التحوّل الجذري حدث على مدار عشرين سنة تقريبًا قبل الجمع العثماني، وهي مدة زمنية ليست بالطويلة. وعلاوة على ذلك، فقد حدث في مرحلة زمنية محددة (إمّا بمجرد أن أملى (P) النص في السيناريو (f) أو على نحوٍ تدريجي. والآن، إذا كنّا سنَقبَل بالسيناريو (a) أو (b) أو (C) أو (d) فعندئذ تكون التغييرات نتيجة جيلَيْن أو ثلاثة من النَّسْخ النصِّي، ويكون من المتوقّع تجلّي التحوّل المذكور أعلاه (في صحة النَّسْخ) في المصاحف بفضل وجود مصحف وسيط هو مصحف عثمان أقرب بكثير على المستوى الشفهي إلى

(1) Cook, "The Stemma of the Regional Codices of the Koran", p. 90-1.

انظر ما مرّ معنا في الحديث عن النصّ العلوي.

المصحف الأحدث مقارنة بالآخر الأقدم[١]. ولكن المعطيات الموجودة لا تتناسب تمامًا مع هذا النمط، إِذْ إنّ مصحف عثمان أقرب قليلًا إلى مصحف الصحابي C-1 من حيث نوعية التغييرات، لكنه أقرب إلى مصحف ابن مسعود من حيث عددها. كذلك فإنّ مما يضاد هذا النمط من الشجرات أن مصحف ابن مسعود ومصحف الصحابي C-1 نادرًا ما يتفقان في مقابل مصحف عثمان.

وفي ضوء هذه الاعتبارات فإن السيناريو (f) هو الخيار المنطقي، يليه السيناريو (e). ويبقى هناك سيناريو آخر محتمل تمامًا مثل الشجرة (f) يتمثل في شجرة انتقال النص (g)، التي نتناولها في موضع لاحق من هذا البحث.

وقد ثبت لدينا حدوث تطوّر سريع في دقّة النقل في غضون عقدين من الزمان، مما يلزم منه أن تكون تلك التغييرات الكبرى قد حدثت خلال المرحلة الأولى من النقل. (ويذكّرنا هذا بحالات أخرى تكون فيها التغييرات الكبرى هي الأقدم كما هو الحال في علم الحديث أو في نقل مخطوطات العهد الجديد)[٢].

---

(١) لو أنّ الشجرة (a) أو (b) هي شجرة النص الصحيحة، لكان نص المصحف C-1 أو مصحف ابن مسعود أشبه بمصحف عثمان عن سواه. ولو أنّ مصحف ابن مسعود هو الأكثر اختلافًا عن مصحف عثمان، لوقع اختيارنا على الشجرة (b) بدلًا من (a)؛ أمّا لو كان المصحف C-1 هو الأكثر اختلافًا لاخترنا (a) بدلًا من (b).

(٢) يضفي سبينسر وآخرون مصداقية على الأفكار التي ترى أن غالبية الاختلافات ظهرت في فترة مبكرة من تاريخ العهد الجديد باليونانية وأن النُّسَخ التي جاءت في مرحلة لاحقة اشتملت على اختلافات أقلّ. انظر:

=

كذلك فإنّ الخيار (f) ينبثق من سيناريو أُملي فيه النصّ الأصلي ثم نُسِخ من المخطوطات أو أُملي ثم قوبل بالأصل المكتوب، وفي هذا السيناريو فإن الاختلافات الناجمة عن الشفاهية لا بد أن تعود إلى اللحظة الأصلية للإملاء؛ وبذلك فإن السيناريو (f) وحده هو الذي يتّفق مع المعطيات[١]. وربما يدعم القرآن نفسه هذا السيناريو حين يصف نفسه بأنه نصّ مكتوب مثل الكتب السماوية الأخرى، ويقول عن نفسه بأنه وحيٌ إلى النبي محمد، قرأه على الناس (سورة القيامة، الآيات: ١٦- ١٨، وسورة البينة الآيتان: ٢- ٣) ثم كُتب بعدها (الفرقان: ٥، والبينة: ٢- ٣)[٢]، وهو آيات يُتوقّع أن يتلوها المسلمون كلّما

=

(Matthew Spencer,Klaus Wachtel, and Christopher Howe, "Representing Multiple Pathways of Textual Flow in the Greek Manuscripts of the Letter of James Using Reduced Median Networks", *Computers and the Humanities*, 38 (2004), p. 1-14).

ومع ذلك فإن هذه المقارنة لا ينبغي أن تصرف أنظارنا عن الاختلافات الهائلة بين العهد الجديد والقرآن، ومنها حقيقة أن القرآن كان كتابًا منذ البداية وأنه يتحدّث عن نفسه بهذه الصفة، وأن الإسلام أصبح دين دولة في وقت يُوحى فيه القرآن؛ وتبيّن هذه العوامل السبب في استقرار النصّ القرآني بصورة أسرع عن العهد الجديد.

(١) السيناريو الذي أملى فيه النبي القرآن ثم نُسخ بالنقل الكتابي يكون منطقيًّا إذا لم يكن هناك نهي عن الكتابة، وليس هناك دليل على نهي كهذا بشأن القرآن، وعلى الجانب الآخر كان هناك تباين في المواقف حيال جواز كتابة نصوص دينية غير قرآنية. وللوقوف على الخلاف في هذا الأمر في القرن الثاني الهجري، يمكن الرجوع إلى:

Michael Cook, "The Opponents of the Writing of Tradition in Early Islam", *Arabica*, 44 (1997), p. 437-530.

(٢) يستشهد راميار بعدد من الآيات لإثبات أنّ محمدًا دوّن القرآن كتابةً، ولعلّ أظهرها ما جاء في الآية الخامسة من سورة الفرقان، وهناك أيضًا الآيتان الثانية والثالثة من سورة البيّنة. ولعل ذِكر القرآن التعليم بالقلم في سورة العلق في الآيات: ١- ٥ فيه إشارة إلى الكتب السماوية ودور الكتابة في نقلها، كذلك الحال في الآية ٥٢ من سورة المدثر، والآية ٩١ من سورة الأنعام. وإذا جئنا إلى الآيات: ١١- ١٦ من سورة عبس، والآيتين: ٢١- ٢٢ من سورة البروج، والآيات: ٧٧-

=

www.Quranonlinelibrary.com

تيسّر لهم ذلك. فهو كتاب كغيره من الكتب السماوية الأخرى مثل التوراة والإنجيل (التوبة: ١١١). وربما يفهم بعضهم هذه الآيات القرآنية على أنها متّسقة مع فكرة إملاء النبي القرآن على عدد من كَتَبة الوحي؛ ولذا فقد انتقل القرآن بالكتابة مثل التوراة والإنجيل، وجدير بالذِّكْر أنه حتى بدون هذا السيناريو تظلّ الشجرة (f) احتمالًا منطقيًّا.

خلاصة القول أنّنا أمام خيارين هما الشجرة (e)، (f)، والأخيرة أرجح[(١)]؛ أمّا الشجرة (e) فتجعل مصحف عثمان المصدر المشترك لمصحف ابن مسعود

=

٨٠ من سورة الواقعة نجدها وثيقة الصلة رغم أن راميار يراها أقلّ جزمًا. كذلك يسوق راميار عددًا من الإشارات القرآنية إلى الكتابة والنّسخ وأدواتهما مثل الورق والرّق. وعلاوة على ذلك يبرز الإشارات القرآنية إلى التوراة كشيء مادي ملموس. انظر، راميار، تاريخ القرآن، ص٢٥٧– ٢٥٨، ٢٧٥– ٢٧٩. ومن المثير أن نعلم طريقة نقل الكتب اليهودية في الجزيرة العربية في عصر صدر الإسلام، وقد أثبت مايكل كوك أن بعض الأفكار الإسلامية حول الكتابة والكتب السماوية الشفهية تجد صدى في المفاهيم اليهودية.

انظر: المرجع الذي ورد ذكره في الهامش السابق.

(١) قد يحاول بعضهم الاختيار من بين هذه الشجرات باستخدام معطيات ترتيب السور في المصاحف. وحقيقة أن ترتيب السور في مصحف ابن مسعود ومصحف الصحابي C-1 متقارب بخلاف ما لو قارناه بمصحف عثمان يجعلنا نستبعد كل هذه الشجرات عدا الشجرتين (e)، (f). وإذا وقع الاختيار على الشجرة (f) فيكون لدينا ثلاثة احتمالات تشرح هذا التقارب بين مصحف ابن مسعود ومصحف C-1: ١) أنهما يحاكيان ترتيب السور الوارد في النموذج الأصلي أفضل من مصحف عثمان. ٢) أنّ أحد المصحفَين تأثر بالآخر (التداخل) أو. ٣) أنّ المصحفَين استخدمَا نفس المبدأ في ترتيب السور لكن بصورة مستقلة. أمّا لو اخترنا الشجرة (e) فلا يكون للاحتمال الأول أيّ معنى، ويبقى أن نختار أحد الاحتمالين الثاني والثالث.

=

والمصحف C-1. وفي المقابل فإن الشجرة (f) تجعل الأنواع النصية الثلاثة نسخة مستقلّة مأخوذة من النموذج الأصلي. ومع ذلك فإن النسخة العثمانية هي الأكثر موثوقية بين الثلاث؛ لأنه عند الاختلاف تكون في جانب الأغلبية بوجه عام. وفي حالات نادرة يتّفق مصحف ابن مسعود وC-1 في مقابل مصحف عثمان، وتكون مواطن الاتفاق هذه ناجمة عن تناظر في الاختلافات والفروقات (حين يؤثّر تقليد نصّي على الآخر) أو أنها «تكييفات متقاربة convergent adaptations» أو تعود فعلًا إلى النموذج الأصلي. وكما سيتضح معنا، هناك احتمال قائم في الحالة الأخيرة كما جاء في بعض الروايات أن يكون النبي قد وزّع نسخًا منقحة من النموذج الأصلي.

=

ومع ذلك لو كان الاحتمال الثاني أو الثالث صحيحًا، فعندها تكون جميع الشجرات الواردة في الشكل التوضيحي محتملة، ولن يفيد ترتيب السور في الاختيار بينها. وقد رأيت ذكر هذا الأمر في الهامش لأنه من السهل تصوّر إمكانية الاحتمالين الثاني والثالث في ترتيب السور خاصة لو أنّ السور القرآنية في زمن النبي كانت قائمة بذاتها في أحيان كثيرة لم يتم وضعها في ترتيب محدّد، وهو الحال على ما يبدو. ويكون الاحتمال الثالث منطقيًّا بصورة أكبر لأنّ ترتيب السور المنسوب إلى ابن مسعود وأُبيّ بن كعب جاء باعتبار الطول والقصر فبدأ بالأطول. (Robinson, *Discovering the Qurʾān*, p. 263-6).

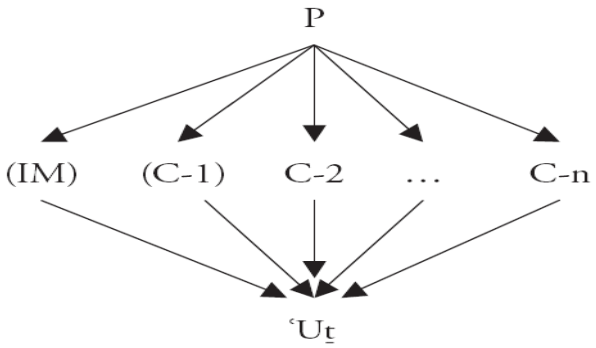

(g)

تناولنا مصحف عثمان حتى الآن كوحدة واحدة لكلّ جزء فيها نفس التاريخ النصّي، ومع ذلك لو نظرنا في احتمالية أن يكون مصحف عثمان نصًّا مختلطًا يعتمد على عدد من مصاحف الصحابة هي المصحف C-2، ...، حتى المصحف C-n وربما مصحف ابن مسعود والمصحف C-1، فعندئذ تكون شجرة انتقال النصّ المنطقية هي الشجرة (g). وفي هذا السيناريو نجد مصحف عثمان يحقّق قراءة الأغلبية، ومعنى هذا أنه جاء محاولة للوصول إلى إجماع. وحين يختلف مصحفان فإنّ لجنة جمع المصحف العثماني تبحث عن دليل مساند مستقلّ لدى مصاحف الصحابة. وهذا هو السيناريو الذي سيتبعه باحث معاصر إلى حدّ ما في إعادة بناء النموذج الأصلي لو أتيح له الوصول إلى عدد من النُّسَخ المستقلة لمصدر مشترك. وبالطبع من المتوقّع أن يسفر هذا الأمر عن نص أفضل من أيّ مصحف منفرد من هذه المصاحف (ابن مسعود، مصحف الصحابي C-1، مصحف الصحابي C-2، إلخ)، بمعنى أن يحافظ على النصّ

الفعلي للنموذج الأصلي. والشجرة (g) وما ورد في هذه الفقرة من أفكار مأخوذ عن مايكل كوك[١].

ولا ينسب هذا السيناريو للّجْنَة درجة عالية من التعقيد بصورة غير معقولة، فإن التحقّق من روايةٍ ما بطلب دليل يؤيدها هو أمر طبيعي يقتضيه الحسّ السليم فضلًا عن كونه مذكورًا في القرآن (في سورة النور في الآيتين: ١٢- ١٣، وفي سورة البقرة في الآية ٢٨٢). ولأغراض تتعلّق بهذا البحث لا أحكم على مدى صحة روايات الآحاد هذه، وتجدر الإشارة إلى أنّ اثنين منها لهما إسناد منفصل يمكن عزوهما لناسخَيْن مختلفَيْن في اللّجنة التي عيّنها عثمان، وجاء في الخبرَيْن أنه عند الاختلاف في موضعٍ ما، يتمّ إرجاء البتّ فيه أو يُترك الموضع فارغًا للرجوع إليه في وقت لاحق. وإذا صح ذلك، فهذا مما يؤكّد فكرة النصّ المختلط[٢].

وخلاصة القول أنّ دليل الطروس يضفي مصداقية على المصادر الأدبية في نقلها معلومات صحيحة جزئيًّا حول المصاحف غير العثمانية، وعلى وجه الخصوص فإني أقبل بشكلٍ مشروط ما ذكره الأعمش عن مصحف ابن مسعود

(1) Michael Cook, "Concluding Remarks", Colloquium on the Evidence for the Early History of the Qurʾān, Stanford University, July 31, 2009.

(٢) ابن أبي داود، المصاحف، ص٢١- ٢٢، ٢٥- ٢٦؛ انظر: رايمار، تاريخ القرآن، ص٤٢٦، حيث يستشهد المؤلّف بمصادر إضافية لأحد الخبرين.

(ومرّ معنا)[١]. وفي وجود ثلاثة مصاحف، من الطبيعي أن نسعى إلى تحديد علاقة النسب بينها؛ ويحتلّ مصحف عثمان موقعًا مركزيًّا بين المصحفين الآخرين، ويتّضح من ذلك أنّ مصحف عثمان إمّا أن يكون النسخة الأقرب إلى المصدر المشترك الذي أطلقنا عليه النموذج الأصلي أو أنه خليط يمثّل قراءة الأغلبية من بين مصاحف الصحابة. وبفضل القيود الزمنية يمكن القول أنّ النموذج الأصلي هو النسخة النبوية وأنّ النبي هو من أملاه، وهو ما يتّضح معنا في الجزء التالي من البحث.

(١) رغم أني استخدمت مصحف ابن مسعود كما نقل الأعمش في محاولة لبناء شجرة انتقال النصّ، ورغم محاولتي إثبات صحة خبر الأعمش بصورة كبيرة، إلا أنه ينبغي التنبيه على أن صواب رأيي لا يتوقف على التفاصيل التي وردت في خبر الأعمش. فلو أني استخدمت بدلًا من هذا الخبر الأخبار الأخرى التي تحدّثت عن مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب أو أيّ صحابي آخر، فسوف يظلّ مصحف عثمان في جانب الأغلبية وتكون شجرة النصّ كما هي.

ما النوع النصي الأقدم؟ الطريقة الثانية: الدليل الداخلي وتحليل القطبية:

يعتمد توظيف أسلوب شجرة انتقال النصّ على فرضيتين: أنّنا على معرفة بمصحف ابن مسعود وأنّ التغييرات الشفهية الكبرى ظهرتْ في مرحلة مبكّرة من النقل. وربما كانتا فرضيتين رائعتين لكن لا شك أنه مما يبعث على الارتياح أن نجد دليلًا آخر لا ينبني عليهما. وهنا أنتقل للحديث عن الدليل الداخلي، فهل يتّسم مصحف عثمان ومصحف الصحابي C-1 بنفس الشخصية عند المقارنة بينهما؟ أم أن هناك تباينًا يجعل النصّ في أحد المصحفين أقدم من الآخر؟ للإجابة على هذا السؤال يتعيّن علينا أن نتساءل أيهما أقرب للتصور: أخطاء النسّاخ التي تحوّل النصّ العثماني إلى نصّ C-1، أو تلك التي تغيّر نص المصحف C-1 إلى النصّ العثماني؟ بعبارة أخرى هل تحوُّل مصحف معيّن إلى آخر يتّسق مع تغييرات المستوى الأول بدلًا من التحول المعاكس؟ سوف أبيّن بالطبع أنّ تحوُّل مصحف عثمان إلى المصحف C-1 يمكن تبريره في ضوء تغييرات المستوى الأول، بينما يتعذّر ذلك إذا كان التحوّل في الاتجاه المعاكس[١].

(١) في هذا المبحث أعني بتحوُّل المصحف (أ) إلى المصحف (ب) الانتقال من لفظ المصحف (أ) إلى لفظ المصحف (ب).

وليست هذه مجرّد ملاحظة عادية. لنفترض أن إملاء مصدر مشترك أسفر عن مصحفين (أ)، (ب). وحتى لو كان المصحفان نسختَيْن من المستوى الأول لنفس المصدر المشترك، فإنّ العلاقة بينهما لا يمكن أن تُختزل في المستوى الأول؛ بمعنى أنه لا يمكن للمرء أن يثبت إمكانية الانتقال من المصحف (أ) إلى (ب) أو (من ب إلى أ) في ظلّ تغييرات من المستوى الأول فقط. (على سبيل المثال، يمكن أن يسقط من المصحف (أ) بعض الكلمات ومن المصحف (ب) كلمات أخرى، وبالتالي يوجد في كلّ مصحف عناصر رئيسة لا وجود لها في المصحف الآخر ولا يمكن تبريرها بالتداخل الذاتي، ونحوه مما يجعل من المستحيل إثبات إمكانية الانتقال من مصحف لآخر بتغييرات من المستوى الأول). وعليه، فإنّ إمكانية الانتقال من مصحف عثمان إلى المصحف C-1 بتغييرات من المستوى الأول معناها إمّا أن يكون مصحف عثمان (أي ألفاظه وكلماته) هو المصدر الذي استقى منه المصحف C-1 مادته أو أنه نسخة دقيقة لمصدر مشترك لهما.

لنرى الآن إذا كان من اليسير الانتقال من مصحف لآخر في الاتجاه المعاكس. وهنا تكون فئة الاختلافات المفيدة في التحليل هي الحالات التي يشتمل فيها أحد المصاحف على عنصر كبير في آية ولا وجود له في المصحف الآخر، وأُطلق على هذا الإضافات الكبرى. وتأمّلوا معي أولًا هذه الحالات التي يشتمل فيها مقطع قرآني في المصحف C-1 على كلمة لا ترِد في المقطع ذاته

في مصحف عثمان، ويمكن تسمية هذه الكلمات الزائدة إضافات المصحف C-1. وبالمثل هناك حالات يشتمل فيها مقطع قرآني في مصحف عثمان على لفظ زائد لا وجود له في نفس المقطع من مصحف C-1، وهذه إضافات تخص مصحف عثمان.

١- حالات السقط: من السهل على ناسخ يُمْلَى عليه أن يُسْقِط كلمات كبرى ويغيرها عند السماع بدلًا من إضافة كلمات لم يسمعها. ويشتمل مصحف عثمان على أربع عشرة إضافة كبرى في حين يشتمل المصحف C-1 على عشر فقط (انظر الملحق ٢). أمّا الإضافات الصغرى فيشتمل مصحف عثمان على اثنتي عشرة إضافة بينما يشتمل المصحف C-1 على أربع فقط (انظر الملحق ١). ويكون العدد الإجمالي ستًّا وعشرين إضافة في مصحف عثمان مقابل أربع عشرة فقط في مصحف C-1. ويشير هذا إلى أنه من السهل في الإملاء الانتقال من مصحف عثمان (أو نموذج أصلي يجسّده مصحف عثمان بدقة) إلى المصحف C-1 مقارنة بالانتقال في الاتجاه المعاكس. ومع ذلك فإن الأعداد وحدها ليست كافية للبتّ في هذا الأمر؛ بل طبيعة الإضافات هي التي تحسم المسألة، فسوف يرِد معنا لاحقًا في العنصر رقم (٣) أن جميع الإضافات الكبرى للمصحف C-1 يمكن عزوها إلى آليات المستوى الأول مثل التداخل الذاتي، لكن لا يصلح هذا لجميع الإضافات الكبرى في مصحف عثمان.

٢- حالات السقط في عناصر متعدّدة ضمن لائحة: استذكار العدد من العناصر في آنٍ واحد يمكن أن يمثّل تحديًا. فلو أن الناسخ الذي يُملى عليه نسي كلمة، فمن السهل معرفة كيفية حدوث هذا الأمر إذا كانت الكلمة عنصرًا في لائحة؛ ولهذا من المهم أن ندرك أن اثنتين من إضافات مصحف عثمان تندرجان ضمن لائحة، تحت كلّ لائحة ثلاثة عناصر. أمّا في المصحف C-1 فتشتمل اللائحة على عنصرين فقط. وللوقوف على التفاصيل، انظر الملحق (٢) القسم (أ) بعنوان: (مواضع السقط)، سورة البقرة الآيتان: ١٩٦، ٢١٨. ومن الأيسر ملاحظة كيفية الانتقال من مصحف عثمان (أو النموذج الأصلي له) إلى المصحف C-1 بدلًا من الاتجاه المعاكس.

٣- الإضافات الكبرى: إنّ أهم نمط هو الطريقة التي تختلف بها الإضافات في المصحف C-1 عن مصحف عثمان. وسوف أبدأ بالمصحف C-1؛ هناك عشر إضافات كبرى في المصحف C-1، وجميعها موضحة ومفصّلة في الملحق (٢) القسم (ب) بعنوان: (إضافات). وقبل الشروع في التحليل يمكن اعتبار هذه الكلمات إضافات على المصحف C-1 أو سقط من مصحف عثمان.

وأبرز سمة فيها أنّ كلًّا منها بلا استثناء يظهر في مقطع آخر مناظر في المصحف الإمام مشتملًا على نفس الكلمة، (ويكون المقطع مناظرًا إذا اشتمل على بعض الكلمات أو العبارات المحيطة بهذه الإضافة). من ذلك على سبيل

المثال الآية ١٩٣ من سورة البقرة، نجد في المصحف C-1: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كُلّه لله﴾، فكلمة: ﴿كُلّه﴾ إضافة تخص مصحف C-1 ولا ترِد في مصحف عثمان. ومع ذلك، فإنّ مصحف عثمان يشتمل على هذه الجملة نفسها بها كلمة ﴿كُلّه﴾ في موضع آخر في الآية (٣٩) من سورة الأنفال؛ ولذا فإن إضافة ﴿كُلّه﴾ في المصحف C-1 في الآية (١٩٣) من سورة البقرة من المحتمل أن تكون من قبِيل استيعاب نظير لها في سورة الأنفال (الآية ٣٩). بعبارة أخرى، يُحتمل أن يكون السبب في هذه الإضافة في المصحف C-1 ارتباطها بالآية الأخرى.

ومن الواضح أنّ الإضافات التسع الكبرى في المصحف C-1 يمكن أن تكون متفرّعة عن المصحف العثماني، وتحتمل التداخل الذاتي. لكن هل بإمكاننا استخدام المنطق ذاته مع إضافات عثمان لنثبت أنها متفرّعة عن المصحف C-1؟ فهل الحال متماثلة؟ كلّا ليس الأمر كذلك. فثمة اختلاف فيما يخص إضافات مصحف عثمان، هناك أربع عشرة إضافة في مصحف عثمان (انظر الملحق ٢، القسم (أ) بعنوان: «مواضع السقط»)، من بينها خمس ترِد في آيات لا نظير لها في موضع آخر في القرآن، ولا تظهر هذه الكلمات الخمس في أيّ موضع آخر مع نفس العبارات الواردة في الآية؛ لذا لا يمكن أن يكون منشؤها التداخل الذاتي. وترِد هذه المواضع «الفرادى» في سورة البقرة، الآية ١٩٦ في عبارة: ﴿أو صدقة﴾ وفي الآية ٢١٧: ﴿وكفرٌ به﴾ والآية ٢٢٢:

﴿فاعتزلوا﴾، وفي الآية (٤٢) من سورة المائدة في قوله: ﴿فإن جاءُوك﴾، وفي سورة المنافقون في الآية الأولى في كلمة: ﴿قالوا﴾؛ ويمكن عدم الالتفات للموضعين الأخيرين: ما جاء في الآية (٤٢) من سورة المائدة لقربها مع عبارة: ﴿إذا جاءك﴾(*) في الآية ٤٨ من نفس السورة (وعليه يحتمل حدوث خطأ من قبِيل استيعاب الألفاظ القريبة)، وما جاء في الآية الأولى من سورة المنافقون؛ لأنّ ﴿قالوا﴾ كلمة شائعة جدًّا في القرآن.

ومن المناسب هنا إعادة صياغة هذا الاستدلال بصورة منهجية دقيقة؛ أولًا: فيما يخصّ إضافات مصحف الصحابي C-1، لو أنّ النصّ في هذا المصحف أقدم من مصحف عثمان، فمعنى هذا أنّ مصحف عثمان أسقط هذه الألفاظ. وتتسق حالات السقط مع النقل من المستوى الأول؛ لذا من السهل الانتقال من المصحف C-1 إلى مصحف عثمان عبر الإملاء. على الجانب الآخر لو أنّ نصّ مصحف عثمان هو الأقدم فإنّ إضافات المصحف C-1 تكون عناصر من إضافة هذا المصحف، ولا يمكن اعتبار الإضافات من تغييرات المستوى الأول ما لم تحتمل التداخل الذاتي. وبالطبع، يمكن تفسير جميع إضافات المصحف C-1 على أنها من قَبِيل التداخل الذاتي: فهذه الألفاظ بلا

(*) ذكَر المؤلف أن قوله تعالى: ﴿إذا جاءك﴾ قد وردت في الآية ٤٨ من سورة المائدة، والصواب: ﴿عما جاءك﴾. (المترجم).

استثناء تَرِد في مواضع أخرى مناظرة. ولهذا، من السهولة بمكان تصوّر أن يكون مصحف عثمان هو أيضًا النصّ الأقدم. وخلاصة القول أنّ إضافات المصحف C-1 لا ترجح مصحفًا على الآخر؛ وذلك لأنه بالاعتماد على النصّ الأقدم في المصحفين، تكون إضافات المصحف C-1 إمّا مواضع سقط في مصحف عثمان أو تداخل ذاتي في مصحف الصحابي C-1.

ويختلف الحال بالنسبة لإضافات مصحف عثمان، فلو أنّ النصّ في هذا المصحف هو الأقدم فسوف تكون الإضافات مواضع سقط في المصحف C-1. ومواضع السقط تغييرات من المستوى الأول وهو ما يجعل من السهل تصوّر الانتقال من مصحف عثمان إلى مصحف الصحابي C-1. وفي المقابل، لو كان مصحف C-1 هو الأقدم، فعندها تكون هذه المواضع إضافات في مصحف عثمان، لكن لا يمكن أن تكون هذه الإضافات تغييرات من المستوى الأول ما لم تحتمل التداخل الذاتي أو بعض آليات المستوى الأول الأخرى. وفي الحقيقة، هناك كثير من الإضافات في مصحف عثمان لا يمكن أن تكون بفعل التداخل الذاتي؛ لأنه لا نظير لها في موضع آخر في سياقات مشابهة. وليست هناك أيّ آلية أخرى من آليات المستوى الأول تبرر هذه الحالات؛ ولذا يصعب تصوّر حدوث انتقال من المصحف C-1 إلى مصحف عثمان عبر الإملاء. والخلاصة أن بعض الإضافات في مصحف عثمان يمكن أن تكون مواضع سقط من المصحف C-1 لكنها ليست مواضع للتداخل الذاتي، وهو ما ينسجم مع أسبقية مصحف عثمان.

نستنتج من هذا أنّ مصحف عثمان يشتمل على النصّ الأقدم، وأن إضافات مصحف الصحابي C-1 ناشئة عن استيعاب النظير ممن تولّى نسخ هذا المصحف، في حين أنّ إضافات مصحف عثمان هي مواضع سقطت من المصحف C-1. وربما اشتملت بعض مواضع السقط في مصحف C-1 على استيعاب النظير (أو أسهمت في وقوعها).

٤- استيعاب الألفاظ القريبة: دائمًا ما تتشكّل ذاكرة المرء بما سمعه مؤخرًا أو إذا كان النصّ مألوفًا فبما سمعه من قبل على مقربة من الموضع محلّ الحديث. لهذا السبب، من الضروري النظر في المقاطع القريبة للتأكّد من احتمالية حدوث تأثّر بألفاظ قريبة أو نظائر، وفي ثلاثة مواضع كان النصّ في مصحف عثمان (عند الاختلاف مع مصحف C-1) مناظر لمقاطع قريبة: وذلك في سورة البقرة، الآية ٢١٧: ﴿عن دينكم﴾، والآية ٢٢١: ﴿بإذنه﴾، وسورة المائدة الآية ٤٢: ﴿فإن جاءوك﴾. وفي المقابل هناك مواضع خمسة كان الاختلاف فيها في المصحف C-1 مناظرًا لمواضع قرآنية قريبة: وذلك في سورة المائدة، الآية ٤٤: (﴿يحكمون بما أنزل الله فيها﴾، ﴿ويحكموا به﴾) والمائدة، الآية ٤٥: ﴿على بني إسرائيل﴾، وسورة المنافقون: ﴿ذلك بأنهم قوم﴾، ويُحتمل أيضًا سورة المنافقون، الآية ١١: ﴿لغدٍ﴾، ويُحتمل كذلك سورة المائدة، الآية ٤٥[*]: (﴿للمتقين﴾ في مقابل:

(*) الصواب الآية ٤٦. (المترجم).

﴿لقوم يوقنون﴾، بشرط أن تكون الكلمة الأخيرة ﴿يوقنون﴾، وليست ﴿يؤمنون﴾).

والعدد الكبير للنظائر القريبة في المصحف C-1 قد يوحي بأنّ هذا المصحف ثانوي. ومع ذلك من الضروري توخي الحذر لأنّ ثلاثة مقابل خمسة لا يمثّل تفاوتًا كبيرًا ومن الممكن أن يكون من قبِيل المصادفة. ولا ريب أن دراسة الورقات الأخرى الموجودة من المخطوطة أمر محبّذ لتحديد مدى وجود اتجاه معيّن.

٥- مواضع الإبدال: هناك ثماني حالات استخدم فيها كلّ مصحف كلمة أو عبارة رئيسة لا يمكن تصنيفها من قَبِيل الاستصحاب الصوتي. وترِد مواضع الإبدال هذه في الملحق (٢) القسم (ج). وفي هذا الحالات، يستخدم المصحفان مترادفات أو ألفاظًا شبيهة ترِد في سياقات مماثلة أو أنّ الكلمتين من الألفاظ الشائعة؛ ومع ذلك توجد بعض الاستثناءات. ففي الآية السادسة والأربعين من سورة المائدة: (﴿للمتقين﴾ مقابل: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أو ﴿يوقنون﴾)، نجد أن مصحف عثمان هو الذي يشتمل على عبارات مناظرة مهمة في مواضع أخرى. والطبيعي أن يقدح هذا في أسبقية مصحف عثمان، (ومع ذلك إذا كان الموضع يحتمل استيعاب لفظ قريب، فإن هذا يتسق مع أسبقية مصحف عثمان). وفي المقابل، نجد في الآية الرابعة من سورة المنافقون: (﴿رأيتهم﴾ في مقابل ﴿جاءَك﴾) تعضد القول بأسبقية مصحف عثمان، لكن

www.Quranonlinelibrary.com

ليس هناك اتجاه معيّن. والآن ربما من المناسب أن ندرس كذلك الحالات التي استُخدمت فيها كلمتان رئيستان متشابهتان. ويأتي هذا ضمن معيار «الاستصحاب الصوتي» في الملحق (١) القسم (ب). ولا تدلّ هذه الحالات على وجود اتجاه معيّن[١].

اكتمل التحليل وسوف يلاحظ القارئ أني لا أعتبر أيًّا من هذه الاختلافات تغييرًا متعمدًا. وبشيء من التخيّل يمكن أن يتصوّر المرء دافعًا سياسيًّا أو دينيًّا وراء أيّ اختلاف كبير. (وفي ظلّ التحمّس لفكرة التغييرات المبنية على دوافع عقدية أو سياسية، يمكن للمرء افتراض هذه الدوافع وراء اختلافات يتّضح أنها من وحي الخيال)[٢]. ومع ذلك فإنّ هذه التفسيرات لا مبرّر لها في الحالة التي معنا لأنّ ثمة مبدأً واحدًا يفسّر المعطيات بشكلٍ منطقي، ذلك أن جميع هذه الحالات نتيجة فرعية من المستوى الأول للنّمط شبه الشفاهي. وفي ظلّ نظرية واهية لتفسير البيانات بطريقة بسيطة، فإنّ استخدام تلك النظرية علاوة على نظرية أخرى لشرح المعطيات يمثّل خرقًا لمبدأ توحيد التفسير ومن قبيل

(١) من بين الأمور الجديرة بالاعتبار غير مواضع الإبدال ولا تكشف عن اتجاه معيّن هو تكرار الكلمة في مواضع أخرى من القرآن. وفي كلتا الحالتين، من المهم النظر في وجود اتجاه معيّن في العينة الكبرى لجميع ورقات المخطوطة الموجودة.

(٢) انظر الهامش رقم (٣)، ص٤٠.

التبسيط الذي يصل إلى حَدّ السذاجة[١]. ولا شكّ أن فرضية التغيير المتعمد بخلاف التغيير من المستوى الأول تخفق في تفسير العديد من الأمور، من ذلك مثلًا إضافات المصحف C-1. لنفترض جدلًا بأن ناسخ مصحف عثمان قد تعمّد حذف كلمة ﴿كُلّه﴾ من الآية ١٩٣ من سورة البقرة لغرض في نفسه سياسي أو عقدي. إذا كان الحال كذلك، فلِمَ تركها في الجملة ذاتها في موضع آخر في سورة الأنفال في الآية الثامنة؟ لا تصلح فرضية التغيير المتعمد في تفسير عدم إضافة المصحف C-1 عناصر كبرى لا معضد لها في مواضع أخرى. وتخفق كذلك في تفسير العديد من الاختلافات الصغرى، وفي استخدام المفردات أو مجيء العديد من مواضع الإبدال وفق معيار الاستصحاب الصوتي.

وحتى لا تكون مسألة توحيد التفسير طريقة فلسفية خالصة في عرض المسألة على القرّاء، من المناسب هنا أن ننقل عن بيتر كايل مكارتر ما يراه بديهيًّا في هذه النقطة[٢]:

(١) للوقوف على المقصود بتوحيد التفسير، انظر:

Philip Kitcher, "Explanatory Unification", *Philosophy of Science*, 48/4 (1981), p. 507-31.

(2) Peter Kyle McCarter, *Textual Criticism: Recovering the Text of the Hebrew Bible*, Philadelphia, Fortress Press, 1986, p. 23.

لننظر أولًا في مسألة الخطأ غير المقصود، فالحلّ المناسب لمشكلة نصية – حين يكون هناك حلّ يفترض وجود حادث نصي، وحل آخر يفترض وجود تغيير متعمد، هو الحلّ الأول... والنقد النصّي عمل عقلاني، وهناك ميل إلى إضفاء مبرّرات معينة على التغييرات التي حدثت في النصّ. ومع ذلك فإن التغييرات المتعمّدة للنصّ كانت أمرًا نادر الوقوع في العصور القديمة، بخلاف الحوادث النصية التي كانت أمرًا شائعًا؛ ولذا فإنّ الناقد الذي يفكر في سياق الأخطاء غير المتعمدة سيبلي بلاء حسنًا في استعادة النصّ الأصلي.

وختامًا، هناك العديد من حالات التباين المهمّة بين المصاحف، وهذه الاختلافات هي تحديدًا ما يتوقعه المرء عندما تكون الفروقات النصية بسبب البُعد السماعي للإملاء وعندما يكون النصّ العثماني أقدم من مصحف C-1 من حيث قربه من الأصل (أو كونه الأصل). وهي نتيجة يمكن دحضها من حيث المبدأ، بمعنى أنّ المنهج المستخدم هنا كان بإمكانه أن يؤدّي بنا بشكل موضوعي إلى نتيجة عكسية إذا كانت الاتجاهات عكس ما لُوحظ. ولكن هذا المنهج ليس فضفاضًا بشكل يؤهّله لتبرير أيّ نتيجة يميل إليها المرء؛ ويترتب على هذا الأمر بعض النتائج العملية المباشرة، ومع ذلك تبقى غالبية الورقات الموجودة حاليًّا بلا تحليل، ومن المتوقع أن نجد فيها حالات استثنائية من الاتجاهات المحدّدة هنا. فإذا كان عدد الاستثناءات كبيرًا بما يفسد هذه الاتجاهات، فسوف ينعكس هذا بدوره على صحة ما خرجت به من

استنتاجات، وإذا كان عددها كبيرًا بصورة تسمح بقلب الاتجاه بصورة عكسية، فعندها يمكن تفنيد هذه النتائج وإبطالها. ومع ذلك، لو بقيت الاتجاهات على وضعها، فإنّ هذا دليل قوي على أسبقية مصحف عثمان[١].

يتّضح من التحليل الذي أجريناه في هذا المبحث وجود نمط من التباين في المعطيات التي تبيّن لنا أنّ نوعي النصّ يختلفان في طبيعة كلّ منهما. وقد نجمَ عن هذا التباين استنتاج عام حول الأسبقية النسبية لنوع نصِّي مقارنةً بالآخر. ومع ذلك فإنّ تحليل هذه الاتجاهات مهما كانت فائدته في الوصول إلى نتيجةٍ ما حول مصحف من المصاحف ككلّ، يبقى غير ملائم للحكم على كلمة أو عبارة مفردة، تمامًا مثلما هو الحال عند الاعتماد على الحقيقة الإحصائية للقول بأنّ سنة من السنوات أكثر دفئًا في المتوسط من سنة أخرى، فلا يمكن أن نخلص من هذا إلى حكم على الأيام المفردة حكمًا راجحًا.

(١) حري بالمرء أن يكون على استعداد لتقبّل احتمالية وجود تاريخ انتقال مختلف يختلف باختلاف السور بسبب مشاركة عدد من النسّاخ. ومن المحتمل أن يكون الصحابي الذي جمع القرآن لم يسمع السور كلّها بشكل مباشر من النبي، أو أن يكون سمع بعض السور بصفة شخصية لكنه اعتمد على بعض الصحابة في السور التي لم يسمعها مباشرة. ومعنى هذا أن السور المختلفة في المصحف C-1 يمكن أن يكون لها تاريخ نقل مختلف قبل جمعها في مصحف واحد. واحتمالية أن النبي نفسه قد قرأ نُسَخًا مختلفة من السور (كما تذكر المرويات الإسلامية) أو (كما يتضح في القرآن) أنه راجع السور؛ تجعل المعطيات التي لدينا أكثر تعقيدًا. وقد يكون من الضروري النظر في التعقيدات المحتملة بعد دراسة الورقات المتبقية.

أيّ نوع نصي هو الأقدم؟ طريقة أخرى؟ أخطاء واضحة:

أجرى ديفين ستيوارت محاولة أوّلية لتحديد منطق التعديل النصِّي في سياق أخطاء النسّاخ(١). وتعتمد الطريقة بالنسبة له على مبدأ الاحتمالية -فالكلمة المحتملة التي تشبه في رسمها لفظًا مذكورًا غير محتمل مرشحة لتكون الكلمة الأصلية- ومن الممكن قياس الاحتمالية بتكرار الورود: فالكلمة التي ترد في مواضع أخرى في القرآن أكثر احتمالًا من غيرها التي لا شاهد لها(٢). ثم يصوّر التشوّه النصِّي بأنه انتقال من كلمة محتملة إلى أخرى غير محتملة.

وتبقى صلاحية نموذج ستيوارت لسياق النقل الكتابي الذي يقصده محلّ نقاش؛ لكن دعونا ننحي هذا الأمر جانبًا ونطرح تساؤلًا حول مدى صلاحيته لسياق آخر لم يقصده، هو السيناريو الذي يكون للذاكرة فيه دور أبرز كما في حالة النصّ الذي يُمْلَى. ففي هذه الحالة لا يكون من الواضح اتجاه التشوّه النصِّي إلى ما هو أبعد احتمالًا بحسب تكرار الورود في مواضع أخرى من الكتاب، بل يمكن للمرء أن يتوقع العكس في غالبية الحالات.

---

(1) Devin Stewart, "Notes on Emendations of the Qurʾān", in *The Qurʾān in its Historical Context*, ed. Gabriel S. Reynolds, London, Routledge, 2008, p. 225-48.

(٢) الارتباط بين الاحتمالية والشواهد المتكرّرة يتضح من خلال تعليق ستيوارت على الآيات: ٢٨- ٣١ من سورة الواقعة إذ يقول: «يبدو مستغربًا ورود كلمة {طلح} هنا؛ إذ لا ترِد في أيّ موضع آخر من القرآن» (المرجع السابق، ص٢٣٣).

لا شكّ أن الانتقال نحو مستوى أكبر من الاحتمالية سيكون هو الأكثر شيوعًا؛ لكن لا مجال لإنكار إمكانية وجود استثناءات يسفر عنها نموذج ستيوارت، وهذا سبب (من أسباب عدّة) في أن الطريقة التي استُخدمت في المبحث الأخير تبحث عن اتجاهات مهمّة من الناحية الإحصائية بدلًا من أنماط ثابتة لا مجال لمخالفتها. وفي الواقع من بين سبل تحديد التجسيدات المحتملة لنموذج ستيوارت أن نركّز على الاستثناءات التي تشذّ عن الاتجاه العام. لكن عندها لن تكون هذه الطريقة وسيلة مستقلّة لتمييز النوع النصّي الثانوي من الرئيس؛ لأنها تفترض سلفًا أنّ المرء قد كوّن رأيه بالفعل من خلال تحديد هذا الاتجاه.

فهل ضاع الأمل في استخدام طريقة ستيوارت أو نسخة معدّلة منها؟ هناك فئة من الكلمات غير المحتملة التي لا يساورنا شكّ في اتجاه التغيير فيها، وهي الاحتمالات المستبعدة تمامًا التي تُعَدّ أخطاء ظاهرة؛ ولذا يمكن تصنيفها ثانوية بلا أدنى تردّد. وتشمل الأخطاء الواضحة التي تحدث بفعل يد الناسخ وكذلك الأخطاء الناجمة عن سماع خاطئ أو بسبب الذاكرة. وكِلا النوعين موجود في المصحف C-1. وأخطاء اليد (انظر الملحق ٢ القسم د) هي في الأغلب قراءات شاذّة لا تجسّد النوع النصّي ولهذا لا تفيد كثيرًا في تحديد التاريخ النسبي للنوعين النصيّين، أمّا حالات السماع الخاطئ أو أخطاء الذاكرة فقد تنمّ عن درجة دقة المصحف ككلّ. ومن أمثلتها في المصحف C-1 استخدام لفظ {ما

لهم} بدلًا من {ما له} في الآية ٢٠٠ من سورة البقرة، ولفظ {فإخوانهم} بدلًا من {فإخوانكم} في الآية ٢٢٠ من نفس السورة. (هنا لا أتعرض للحالات الغريبة الواردة في مصحف C-1 مثل استخدام عبارة: {فيقول ربنا... أخّرنا... فأصدّق وأكن} في الآية العاشرة من سورة المنافقون؛ واستخدام كلمة {الآية} بلفظ المفرد في سورة البقرة، في الآية ٢١٩ بدلًا من {الآيات}؛ واستخدام {بها} بدلًا من {به} في الآية ٤٥ من سورة المائدة، واستخدام عبارة: {ذلك بأنهم قوم لا يفقهون} في الآية الثالثة من سورة المنافقون، مما أسفر عنه تكرار غريب لعبارة: {ذلك بأنهم}.

المبحث الرابع: الخاتمة:

الآثار المترتبة على دور النبي:

ازدادت دقة النقل بوتيرة سريعة في عصر صدر الإسلام، ويتجلّى هذا الأمر حين نقارن بين الاختلافات البسيطة نسبيًّا في الفرع النصِّي العثماني، مما يمثّل مقياسًا محدودًا للتغييرات التي يمكن أن تنشأ بعد سنة ٦٥٠م، والاختلافات المهمّة بين مصحف عثمان ومصحف الصحابي C-1 ومصحف ابن مسعود. وفي التقليد النصِّي العثماني، تكون التغييرات من النوع المرتبط بعملية النسخ من مخطوطة أو الإملاء ثم المقابلة على الأصل. وفي المقابل، فإن الاختلافات الكبرى نسبيًّا في المصحف C-1 ناشئة بفعل الشفاهية، والانقسام الذي وقع للفروع النصّية حدث قبل التطوّرات الداخلية في كلّ فرع، وتجسّد نقطة الانقسام النموذج الأصلي، أي: حالة النصّ عند انفصاله عن النوع النصِّي للمصحف C-1. وأرى نسبة هذا النموذج الأصلي إلى النبي.

الترتيب الزمني ودور النبي: دليل من علم العلاقات بين النصوص:

يعتمد الدليل الأول لهوية النموذج الأصلي على شجرات انتقال النصّ الواردة أعلاه. فعند التعامل مع مصحف عثمان كحزمة واحدة (بدلًا من نص مختلط يعتمد على عدد من مصاحف الصحابة) عندئذ تكون الشجرة (f) هي النموذج المنطقي – وفيها يُملى نموذج أصلي (P) فينشأ عن ذلك عدة

مصاحف منها مصحف عثمان، ومصحف C-1، وهو الأمر الذي يعكس أنواع الاختلافات بين المصاحف التي تنشأ عادة من الإملاء. والآن فإن هذه المصاحف تعود إلى زمن الصحابة، لكن الصحابة كانوا قريبين من النبي زمنيًّا، وفي حالة عثمان كانت هناك صحبة شخصية. والمصدر الذي انبثقت منه مصاحفهم، وأسميناه هنا النموذج الأصلي (P) يجسد مرحلة مبكّرة للنصّ، لكن عبارة: «مرحلة مبكّرة من النصّ» عند الحديث عن الصحابة لا تترك مساحة كبيرة للمناورة، فيكون النموذج الأصلي هنا هو النسخة النبوية المنقّحة. فطالما أقرّ المرء أنّ هذه المصاحف تعود لزمن الصحابة، فإنّ الانتقال إلى النبي بوصفه صاحب النموذج الأصلي لا يمثّل قفزة كبيرة.

تعتمد الفقرة الأخيرة على شجرة انتقال النص (f)، فلو رفض أحدهم هذه الفرضية، فلا يبقى أمامه إلا السيناريو الأقلّ احتمالًا وهو الشجرة (e)، وبحسبه فإنّ المصحف C-1 مأخوذ عن مصحف عثمان، مما يرجع بالتقليد النصّي لمصحف عثمان إلى فترة زمنية سابقة على مصحف C-1. لكن في ظِلّ التاريخ المبكر لمصحف C-1، فبذلك يكون الاحتمال الأكثر منطقية وفق هذا السيناريو أنّ مصحف عثمان هو نفسه النسخة النبوية المنقّحة.

وهناك احتمالان آخران: في حال عدم تسليم المرء بوجود نموذج أصلي منفصل، ولا إشكال في هذا، فلا بد عندها من النظر في جميع شجرات انتقال النصّ المتبقية بعد حذف النموذج الأصلي (P)، ولكن يلزم من ذلك أيضًا أن

يكون مصحف عثمان سابقًا على المصحف C-1 مما يجعل مصحف عثمان نفسه هو النموذج الأصلي. ومن حيث الترتيب الزمني لا يختلف هذا السيناريو عما سبق. أمّا الاحتمال الثاني، فلو أنّنا نظرنا إلى مصحف عثمان على أنه نصّ مختلط، فتكون الشجرة المناسبة هي (g)، ووفق هذا الاحتمال تتم مقارنة عدد من مصاحف الصحابة للوقوف من جديد على نصّ النموذج الأصلي. ولأنّ جميع مصاحف الصحابة هذه تعود إلى فترة مبكّرة، فعندها نحصل على نفس النتيجة التي حصلنا عليها من قبل.

الترتيب الزمني ودور النبي: الدليل الداخلي:

اتضح من تحليل القطبية للدليل الداخلي أنّ مصحف عثمان إمّا أن يكون نسخة موثوقة من أصل سابق استُمد منه هو ومصحف C-1 (إذا افترضنا وجود نموذج أصلي) أو أنّ المصحف C-1 مأخوذ عن مصحف عثمان. وفي ضوء التاريخ المبكر لمصحف C-1 ومصحف عثمان، يعود بنا هذا من جديد إلى النبي بطريقة تشبه الدليل المبنيّ على شجرات انتقال النصّ.

التعرف على النموذج الأصلي النبوي:

يمكن مقارنة نتائج التحليل النصّي بالمرويات الإسلامية المبكّرة، وعند اتفاقها، يكون هذا دليلًا معضدًا مستقلًّا. فإن حدث تباين، فعندها تكون هذه المرويات جديرة بالبحث والتحقيق؛ ولذا فإنّ التحليل النصّي أداة لتقييم المرويات المبكّرة. ومع ذلك، فإنّ ما يبعث على الارتياح بوجه خاصّ أن هذا

التحليل النصِّي يمكنه تسليط الضوء على مسائل سكتت عنها المصادر الأدبية أو لم تكن قاطعة بشأنها. على سبيل المثال، فإنّ المرويات التاريخية على ما فيها من إشارات إلا أنها لا تقدّم سندًا قويًّا للحكم على قرب نوع نصِّي من النموذج النبوي المنقح مقارنة بنوع آخر، ومع هذا فإن التحليل النصّي يتيح للمرء سبر أغوار هذه المسألة. ويتبيّن من دراسة ورقات المخطوطة أن النوع النصِّي لمصحف عثمان يحتفظ بنصّ النموذج الأصلي النبوي بصورة أفضل من المصحف C-1.

وتعطينا هذه النتيجة توصيفًا عامًّا لنصّ النموذج الأصلي النبوي، لكن ما الذي يمكن استنتاجه حول خصائصه التفصيلية؟ ما يمكن قوله بشأن النموذج الأصلي يعتمد في الأساس على شجرة انتقال النصّ التي يقع الاختيار عليها؛ فلو اخترنا الشجرة (g)، فحينئذ يكون التحليل النصي قد أدى دوره بالفعل ولن يضيف جديدًا في إعادة بناء النموذج الأصلي أكثر مما نخرج به من قراءة مصحف عثمان. أمّا لو وقع الاختيار على الشجرة (e)، فيلزم من ذلك أن يكون مصحف عثمان أفضل من غيره من مصاحف الصحابة. وبقي لنا أن نناقش السيناريو الآخر الحافل بالتحديات، ويتعلق باختيار الشجرة (f).

لو كانت الشجرة المناسبة هي (f)، فحينها تكون الطريقة المتبعة قياسية: فمواضع التشابه في الفروع المختلفة (أي: الأنواع النصية المختلفة) تنتمي لسلف مشترك؛ وفي حالات الاختلاف، يتم الموازنة بين الدعاوى المتعارضة،

وما وقع عليه اختيار الأغلبية من بين هذه الفروع يكون هو الأصل، ويكون هذا الإجراء ونتيجته أكثر دقّة في حال اتفاق جميع الأنواع النصية. والاتفاق العام بين الفروع فيما يخص ترتيب الآيات داخل السور معناه أن السّلَف المشترك لها، أي النموذج الأصلي النبوي، هو مَن حدد الهيكل الداخلي للسور واختيار الآيات فيها وترتيبها. وعلاوة على ذلك فإنّ نصّ هذه المقاطع هو نفسه في المصاحف المختلفة بوجه عام، والنصّ المشترك إنما يعود إلى النموذج الأصلي النبوي. لكن ماذا عن الاختلافات؟

تماشيًا مع اختيار الأغلبية يحسم نصّ المصحف العثماني الغالبية العظمى من هذه الحالات، ويظهر النموذج النبوي الأصلي مطابقًا تقريبًا لمصحف عثمان. والسبب في ذلك أننا إذا نظرنا إلى أيّ جزء من النصّ، فإمّا أن تتفق المصاحف الثلاثة (وهو الوضع النموذجي)، أو يتفق مصحفان في مقابل الآخر، وعندها يكون مصحف عثمان في جانب الأغلبية عادة. وهناك بعض الاستثناءات التي يتفق فيها مصحف الصحابي C-1 مع مصحف ابن مسعود في مقابل مصحف عثمان (كما ورد معنا في الجدول ٤ أعلاه).

بيدَ أنّ هناك إشكالًا في هذا الإجراء، فشعار «مصحف واحد، وصوت واحد» ربما فيه إعمال لمبدأ المساواة لكنه يفتقر إلى العدالة. فلو أن مصدرًا من المصادر ثبت أنه أكثر ثقة، فلا بد أن يكون له وزن أكبر بما يناسب ذلك. وبناء على ذلك، لو أن مصحف الصحابي C-1 ومصحف ابن مسعود اتفقا في موضعٍ

ما مقابل مصحف عثمان، فلا يلزم من ذلك أن تكون لهما الغلبة. فلا بد للمرء أن ينظر في الاحتمالات الأخرى، مثل توزيع النبي نُسَخًا منقّحة من النموذج الأصلي على فترات زمنية مختلفة كما يرِد في التراث الإسلامي (فتكون عندنا نسختان)، ويتجلّى تناظر الفروقات أو في بعض الحالات توافق التعديلات المستقلة[١].

ماذا عن فواصل الآي؟ هل يُحتمل أن يكون النصّ قد قُسم إلى آيات لأول مرّة بعد وفاة النبي؟ أم أنّ النبي هو مَن وضعَ هذه الفواصل؟ هناك ما يدعونا للجواب على السؤال الأخير بالإيجاب؛ إذ إنّ فواصل الآي في المصحف C-1 تتفق مع الفواصل في مصحف عثمان، ويلزم من ذلك أنها كانت موجودة من قبل، أي أنها ظهرت مع النموذج الأصلي النبوي. واستخدام تقنية التصوير بالأشعة السينية الفلورية مع الورقة ستانفورد ٢٠٠٧ قد أظهرَ فواصل آيات لم تكن مرئية[٢]. وفي هذه الورقة، تطابق فواصل الآي ما جاء في مصحف عثمان (بحسب العدّ العراقي). كما أنّ العلامة الدالة على مائتي آية في المصحف C-1

(١) ربما يجدر بنا أن نشرك القراءات الأخرى الواردة في مصاحف بعض الصحابة في هذا التصويت، لكننا سنواجه إشكالين: الأول في تحديد الأخبار الموثوقة، والإشكال الأكبر في التأكد من أن هذه القراءة المروية ليست مشتقة من أخرى شملها التصويت.

(٢) عند محاولة دراسة طرق تقسيم الآيات في الجزء الكلي الموجود من المصحف C-1، لا بد من مراعاة أمر مهم: أن التصوير بالأشعة السينية كشف لنا عن فواصل لم تكن مرئية من قبل، وهذا يدلّ بوجه عام على أننا إذا لم نجد فاصلة في النصّ السفلي، فلا يلزم بالضرورة عدم وجود الفاصلة.

في سورة البقرة تتخلّف بآيتين أو ثلاث عن موضعها في مصحف عثمان، ومعنى هذا أن فواصل الآي في المصحفين تكاد تكون متطابقة على امتداد نحو مائتي آية؛ وهذا التطابق يوحي بوجود علاقة نسب، أي سلف مشترك للمصحفين، ويجعل فكرة الظهور المستقلّ أمرًا مستبعدًا لأنه بإمكان المرء أن يتصوّر طرقًا بديلة لوضع الفواصل، ووجود محاولتين بديلتين لتقسيم الآي كان من شأنه أن يسفر عن نتائج مختلفة(١).

وحقيقة اشتمال بعض المخطوطات العثمانية على مواضع فواصل غريبة لا تغيّر من هذه النتيجة؛ فمن مبادئ التحليل النصّي أنه لو اشتملت الفروع المختلفة لتقليد نصّي على مخطوطات تشترك في بعض السِّمَات المميزة، فإن وجود مخطوطات لا تظهر فيها هذه السمات لا ينفي إمكانية نسبة هذه السمات للأصل المشترك التي انبثقت منه(٢). ويتّضح هذا المبدأ في الشكل الموضح أدناه، وتمثل الرموز (a)، (b)، (c) سمة نصية، لنفترض أنها نمط مميز في وضع فواصل الآيات، ويُفترض بالمرء أن ينسب السمة (a) إلى أصل مشترك هو (O) رغم عدم وجودها في كل مخطوطة. ونظرًا لأنها سمة مميزة، فإن أفضل تفسير لوجودها في الفرعين المستقلين أنهما ينبثقان من أصل مشترك، أمّا غيابها في (O12)، (O22) فمنشؤه

(١) هناك فواصل آيات في ورقة ستانفور ٢٠٠٧ غير مرئية، وتشمل الآيات: (١٩١، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١) من سورة البقرة. وهناك مواضع أخرى لا يظهر فيها فواصل آيات، رغم أنه من المتوقع اشتمالها على الفاصلة.

(٢) انظر على سبيل المثال القواعد الواردة في المرجع الآتي:

Reynolds and Wilson, *Scribes & Scholars*, p. 211-2.

التحريف. ولا يكون هناك إشكال في هذه النتيجة إلا إذا قام دليل قوي على حدوث تناظر في الفروقات أو توافق تعديلات مستقلة.

وتنطبق الملاحظات المذكورة أعلاه على محتوى السور من آيات، لكن ماذا عن ترتيب السور بعضها مع بعض؟ هل من الممكن الوصول إلى استنتاج بشأن الترتيب في النموذج الأصلي النبوي؟ توضح الأدلة ترتيب السور في مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب. ولا بد من التعامل مع هذه المرويات بجدّية؛ نظرًا لأن المصحف C-1 يعزّز ما جاء فيها بصورة جزئية. وفي محاولة للتحقّق من الترتيب في السَّلَف المشترك لهما، ربما يجدر بناء اللجوء إلى عملية الاختيار والاقتراع من جديد، ومع ذلك لن تسفر هذه العملية عن نتيجة قطعية لأنّ ترتيب السور في كلّ مصحف مختلف عن الآخر. وبالطبع هناك مواضع مشتركة ولعلّ السبب فيها العودة إلى النموذج الأصلي النبوي، لكن حجم الاختلاف كبير، وينتج من ذلك أنّ النبي لم يحدّد ترتيب السور على الأرجح إلا في بعض الحالات. وليس هذا استنتاجًا جديدًا؛ فقد تباينت وجهات نظر العلماء السابقين في مسألة ترتيب السور على يد النبي، والجمهور على أن النبي لم يضع هذا الترتيب[١]. ومع ذلك يرى ابن عطية (ت. ٥٤٢/ ١١٤٨) أنّ النبي رتّب بعض سور المصحف لا جميعها[٢].

(١) السيوطي، الإتقان، ص١٧١.

(٢) ابن عطية، المحرر، ج١، ص٥٠. وقد وقفتُ على هذا المرجع بفضل الأعظمي، في كتابه (تاريخ النص القرآني)، ص٧٨. ولمعرفة طرف من أخبار ابن عطية، يمكن الرجوع إلى خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ج٣، ص٢٨٢.

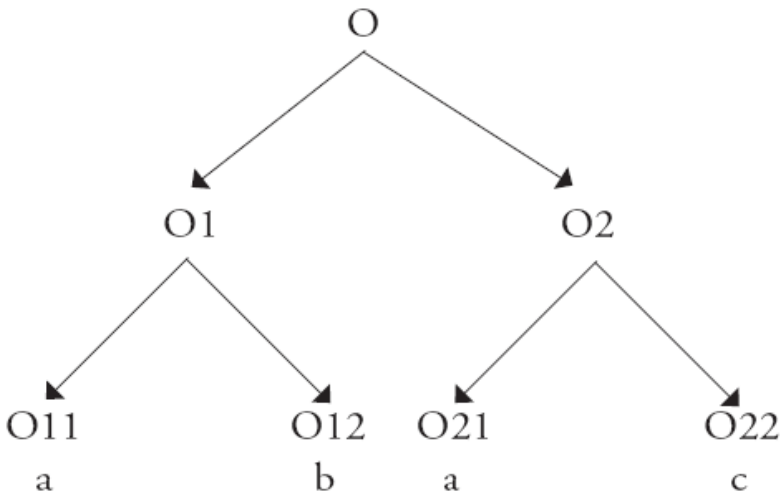

الآثار المترتبة على طبيعة دور عثمان:

أُفرّق بشكل أساسي بين نوعين من الأدلة: الأول يتجسّد في الذاكرة الجماعية المتّسقة المستقلّة للمجتمعات الأولى حول أمور يُتوقع إحاطتهم بها، والثاني أخبار الآحاد (خاصّة حول مسائل يُتوقع ألا يحيط بها أفراد المجتمع ككل)[١]. أمّا الأول فهو دليل معتمد يمكن الوثوق به، في حين أن الدليل الثاني يحتاج إلى تقويم وتدقيق. وكما مَرّ معنا من قبل استنادًا إلى الذاكرة الجماعية للمجتمعات (وأمور أخرى) نعلم أنّ عثمان هو من وزّع المصاحف على الأمصار، ومع ذلك فإنّ طريقة جمع المصحف العثماني لم تكن أمرًا معروفًا لكلّ أفراد المجتمع، وثمة آراء متعدّدة في هذا الصدد. ولا غرابة في أن يتذكر

(١) انظر: Modarressi, "Early Debates", p. 13-4.

لبحث مسألة الذاكرة الجماعية وكيف تكون مصدرًا معتمدًا، انظر ما مَرّ معنا من قبل في جزء سابق من هذا البحث.

أهل مصرٍ من الأمصار، وليكن الكوفة مثلًا، اسم الخليفة الذي أرسل إليهم المصحف الإمام؛ إِذْ هذا شأن عام يطّلع عليه عموم الناس، لكن قلّة قليلة هم من يعرفون التاريخ المسبق لهذا المصحف معرفة مباشرة، ونجمَ عن ذلك اتجاهات متباينة بشأن العملية التي أسفرت عن ظهور النصّ القياسي المعتمد.

وكما بيّن حسين مدرسي فإنّ حقيقة جمع عثمان القرآن تشير إلى وجود نُسَخ مختلفة منه[١]. والسؤال المهم: إلى أيّ مدى كان الاختلاف بين هذه النسخ؟ هل اختلفت المصاحف في طريقة ترتيب الآيات في السور، فتجد لسورة واحدة شكلين يختلفان في الآيات أو في طريقة ترتيبها؟ أم أن الاختلاف اقتصر على ما جاء في مصحف الصحابي C-1؟ والأهم، مَن الذي رتّب الآيات في السور، هل هي اللجنة التي شكّلها عثمان أم النبي؟ ليست هناك ذاكرة جماعية في هذه القضية، وإنما تصوّرات مختلفة وصَلَتْنا عبر آحاد الناس.

هناك مجموعتان من أخبار الآحاد، تؤيد كلّ مجموعة منهما رأيًا مختلفًا. فبعض هذه الأخبار تبيّن أنّ اللجنة التي كلّفها عثمان هي مَن تولّت ترتيب الآيات معًا لتنشأ منها السور، في حين ترى الأخبار الأخرى أن هذا مِن فِعل النبي[٢]. ويمكن أن يدخل ضمن الأخبار التي تعزو ذلك للنبيّ ما ورد من

(١) Modarressi, “Early Debates”, p. 14.

(٢) يسوق حسين مدرسي في دراسة له بعنوان: "Early Debates" في إيجاز المرويات التي توحي بأن السور رُتّبت في المصحف بعد وفاة النبي (ص٨- ١٣)، ويرى أنها غير دقيقة تاريخيًا. ويصفها بأنها أخبار مشكلة جدًّا في الصفحة =

مرويات تصف مصاحف الصحابة؛ إذْ لا معنى للقول بأنّ مصاحف الصحابة اختلفت في ترتيب السور إذا لم تكن هذه السور موجودة أصلًا[1]. وعلاوة على ذلك، فإنّ مقابلة الأعمش المنهجية بين الاختلافات الشفهية في مصحف ابن مسعود ومصحف عثمان، والمرويات التي تناولت المصاحف الأخرى تفترض سلفًا أن المصاحف كانت متطابقة عدَا اختلافات محدّدة على مستوى الكلمات والعبارات. كما أنّ ترتيب الجمل والآيات داخل السور هو نفسه في مصاحف الصحابة المعروفة باستثناء حالات إبدال نادرة لمواضع آيات قصيرة متجاورة.

وقد اختلف العلماء المعاصرون، كما فعل القدامى، في ترجيح أحد هذين الرأيين. على سبيل المثال رأى آرثر جيفري أن هذا مِن فِعل عثمان، ورفض الأخبار التي تحدّثت عن وجود ترتيب مختلف عند غيره من الصحابة. وفي المقابل رجح ألفورد ويلش وحسين مدرسي فكرة استقرار السور القرآنية في شكلها الأخير في حياة النبي. وقد أيدت دراسة المصحف C-1 الرأي الأخير.

= الرابعة عشرة ويقدّم فرضية حول ظهور هذه الأخبار. وثمة عرض مفيد للأخبار المتعارضة (ومحاولة للجمع بينها وإن لم تكن موفقة) عند الأعظمي، انظر:

al-Aʿẓamī, *The History of the Qurʾānic Text*, p. 71-101.

(1) A.T. Welch, R. Paret, J.D. Pearson, "al-Ḳurʾān", *EI* 2.

الآثار المترتبة على تاريخية مصاحف الصحابة:

يعضد دليل المخطوطات ما ورد من مرويات حول وجود مصاحف الصحابة، واختلافها في ترتيب السور، ويؤيّد إلى حدٍّ ما طبيعة الاختلافات الشفهية بينها. كذلك يفنّد بشكلٍ حاسم نظرية جون بورتون في أنّ هذه المرويات وُضعت بعد عهد عثمان لمواجهة النصّ العثماني أو تفسيره أو حتى تفاديه[١]. ولكن ما إن يقرّ المرء بفكرة مصاحف الصحابة، يكون عليه أن يوضح الاختلافات بينها. ومن المحتمل أن يكون منشأ هذه الاختلافات أنّ النبي تلا هذه السور ثم تولّى عدد من النسّاخ المختلفين كتابتها.

وفي ضوء حثّ المؤمنين على الإكثار من تلاوة القرآن كما ورد في الآية العشرين من سورة المزمل، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه: هل كان النبي على علم ببعض هذه الاختلافات، وإن كان، فما القراءة التي قرأ بها؟ هناك احتمال في أنّ ابن مسعود لم ينطق بالكلمات المنسوبة إليه في الخبر الموضح أدناه، لكن لا ريب أنّ هذا واحد من النظريات المبكّرة في تفسير الاختلافات بين مصاحف الصحابة:

---

(١) انظر:

John Burton, *The Collection of the Qur'an*, Cambridge, Cambridge University Press, 1977, p. 228.

افترض بورتون أنه يمكن للمرء أن يتصوّر وجود دافع ديني وراء اختلاق هذا الخبر، وأن هذا الخبر لا يمكن أن يكون صحيحًا من الناحية التاريخية. والإشكال هنا أنه بقليل من الخيال يمكن الزعم بوجود دوافع دينية وراء أيّ خبر حتى ما ثبتت صحته.

www.Quranonlinelibrary.com

حدثنا أبو أسامة قال: حدثني زهير قال: حدثني الوليد بن قيس عن عثمان ابن حسان العامري عن فلفة الجعفي قال: «فزعتُ فيمَن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنّا لم نأتك زائرين ولكنّا جئنا حين راعَنا هذا الخبر، فقال: إنّ القرآن أُنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف (أو حروف)، وإنّ الكتاب قبلكم كان ينزل (أو نزل) من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد»[١].

يفترض هذا الخبر إقرار النبي لمصحف ابن مسعود إلى جانب المصحف الذي وزعه عثمان، ولا يُستبعد أن يقرأ عدد من النسّاخ نسخًا مختلفة على النبي ويلقَى ذلك إقرارًا منه[٢]. ومع ذلك لا بدّ من التأكيد على عدم وجود دليل قطعي في الوقت الحالي يشهد لهذا الأمر أو ينفيه. وعلى أية حال، لو أقرّ النبي

(١) ابن أبي داود، المصاحف، ص١٨. في تعريف إدوارد لين لكمة حرف في معجمه يورد هذه العبارة: «فلان يقرأ بحرف ابن مسعود». ومن الخبر الذي نقله ابن أبي داود وغيره من الأدلة يتضح لنا أن الأحرف التي نزل بها القرآن تشمل مصاحف الصحابة، وهذا ما عليه جمهور العلماء من القدامى والمتأخرين. انظر ما مر معنا من قبل، وما ورد في الهامش رقم (١)، ص١٢.

(٢) يناسب هذا السيناريو قراءة مستبعدة للآية الخامسة من سورة الفرقان: ﴿وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبَها فهي تُملَى عليه بُكرةً وأصيلًا﴾، وتتحدث الآية عما ادّعاه أعداء محمد في مكة. والترجمة الإنجليزية للآية تتفق مع ما جاء في ترجمة آربري، وأسد، وترجمة شير عليّ، وعبد الحق، وعائشة بيولي. ومعنى الآية بهذه القراءة أن النبي طلب من أتباعه كتابة القرآن بالإملاء، ثم يُلقَى عليه من جديد ﴿تُملَى عليه﴾. وهناك قراءة أرجح للآية تبين افتراء الأعداء وزعمهم بأنّ هؤلاء قد قرؤوا الأساطير على النبي أول النهار وآخره؛ ومقتضى الكلام في الحالين أنّ القرآن كان مكتوبًا.

أكثر من نسخة، فلا يعني هذا بالضرورة أن تجسّد هذه النُّسَخ جميعها ما تلاه النبي بنفس الدرجة من الدقّة.

الخلاصة:

أملَى محمد آيات الوحي ونسخها الكَتَبَة، فنجمَ عن ذلك ظهور عدد من مصاحف الصحابة. ولأنّ النبي لم يحدّد ترتيب السور بصورة تامّة، فقد اختلفت هذه المصاحف في ترتيبها، ومع ذلك فإنّ النبي قد حدّد موضع الآيات داخل السور، والفواصل بين الآي، وفي هذه العناصر وخاصة حين يتعلق الأمر بالنص الفعلي نجد أن المصاحف قد اتفقت فيما بينها بصورة كبيرة.

ورغم ذلك فإن البُعد السماعي للإملاء النبوي أسفر في بعض الأحيان عن عدد من التغييرات نجمَ عنها الاختلافات الشفهية العارضة. وكثير من الاختلافات بين مصاحف الصحابة يدلّ على النمط شبه الشفاهي ويعود إلى كتابة الصحابة للقرآن المتلوّ على لسان النبي. ولو أنّ الكتبَة قد قرؤوا ما كتبوه على النبي، ولا ندري أحدث هذا أم لا، فلنا أن نتساءل عن إقرار النبي لبعض هذه الاختلافات، وهي صغيرة نسبيًّا كما يبدو بوجه عام. ولو كان الأمر كذلك، فلا ينفي هذا وجود نسخة من المصحف أكثر دقة في نقل ما جاء على لسان النبي من غيرها، لكن أيّ نسخة هذه؟

جمعَ الخليفة عثمان القرآن في مصحف إمام، وتذكر المصادر الأدبية أنّ مشروع جمعِ المصحف قد اشتمل على لجنة موكلة بهذا الأمر، والأهمّ أنّ أحد كتبَة الوحي وهو زيد بن ثابت[١] كان من بين المشاركين. ولو أنّ عثمان شكّل لجنة

(١) راميار، تاريخ القرآن، ص٤١٦- ٤٣٥. وانظر: A.T. Welch, *et al.*, "al-Ḳurʾān".

لِتوَلِّي هذا الأمر شديد الحساسية، فهذه خطوة ذكية من الناحية السياسية تضمن له موافقةً مجتمعية كبيرة، وتصرف النقد عن الخليفة نفسه[١]. ولو صح أنّ المصحف الذي جُمع كان خليطًا (من عدة مصادر)، فلا شك أن في هذا ميزة سياسية أخرى تكفل ألا ينزعج الصحابة إذا ما جرى تفضيل مصحف على مصاحفهم[٢].

وعلى أية حال، يتّضح من النقد النصِّي أنّ المصحف الإمام هو أكثر المصاحف المعروفة دقّة في نقل ما تلاه النبي، ويبدو هذا عند الوهلة الأولى من قَبِيل المصادفة لكن عند إنعام النظر لا نجد غرابة في ذلك؛ فلو أنّ هناك شخصًا لديه الموارد اللازمة لضمان اختيار نسخة معتمدة موثوقة، فلا بدّ أنه الخليفة، كذلك فإنّ أكثر مَن يخسر لو فلشت هذه المهمة هو عثمان الذي اعتمدَت شرعيته السياسية وأهليته للخلافة على حُسن نوايا عدد من صحابة النبي البارزين. وعلاوة على ذلك، فإنّ اختلافات الرسم الطفيفة والمحدودة بشكلٍ ملحوظ بين المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار مؤشّرٌ آخر على مدى العناية التي أُوليت لمشروع جمعِ المصحف[١].

---

(١) انظر ما كتبه مايكل كوك في ملاحظاته الختامية في الندوة التي نظمتها جامعة ستانفورد، في ٣١ يوليو ٢٠٠٩ حول الأدلة على التاريخ المبكر للقرآن. ويشير رامبار كذلك إلى هجوم ابن مسعود على زيد (تاريخ القرآن، ص٤١٨).

(٢) محمود رامبار، تاريخ القرآن، ص٤٢٢.

(١) الاختلافات تطال حرفًا أو حرفين دون أن تغير المعنى ويبلغ عددها ستة وثلاثين. وكما أوضح مايكل كوك، فليس هذا عددًا كبيرًا لنصّ مثل القرآن؛ ونسبة الكلمات التي تأثرت بالتغيير أقل من واحد في الألْفَين. كما أن عدد القراءات المختلفة في أيّ موضع لم تتجاوز القراءتين، لكل مصحف من مصاحف الأمصار قراءة منهما. انظر:
Cook, "The Stemma of the Regional Codices of the Koran", p. 90-1.

هناك من لا يرى في العثماني الإمام النسخة الشرعية الوحيدة، واختار القول بوجود نوع من التعدّدية في المصاحف، مما يضفي مشروعية على مصاحف الصحابة الأخرى، وحظي مصحف ابن مسعود تحديدًا بأنصار له في القرنين الأول والثاني الهجريين. ومع ذلك، فعند توزيع المصحف الإمام على الأمصار سرعان ما صارت له الهيمنة في كلّ مكان، وفي ظِلّ التوسّع الهائل للإمبراطورية الإسلامية وطبيعتها التي تخلو من المركزية فإنّ التدخل من جانب مركز الخلافة أحرز درجة ملحوظة من النجاح. ومع هذا، لم تَكد تمضي عدّة سنوات على جمع المصحف في المدينة حتى شهدنا بداية حقبة جديدة، فقد نجمَ عن مقتل عثمان في سنة ٦٥٦م أوّل حرب أهلية في تاريخ المسلمين، وأدّت إلى انقسام في المجتمع لم يلتئم بعد ذلك. ولو جرت أيّ محاولة لجمع المصحف في عموم الإمبراطورية بعد هذه اللحظة التاريخية الفارقة، لكان مصيرها الفشل المحتوم.

ملاحظة ختامية: آفاق البحث المستقبلي:

من الحقائق المثيرة للفضول التي تَشِي بالكثير في حقل الدراسات القرآنية أن نجد عددًا محدودًا من إنجازات هذا الحقل في الغرب يُحتفى به أكثر من مشروع آخر لم يكتسب زخمًا قويًّا للانطلاق، ألَا وهو الخطة التي وضعها برجستراسر ومعاونوه في إعداد دراسة نقدية للنصّ القرآني[١]. وربما يتّسق مع هذا التوجّه الغريب أن ندرك الآن أن السبب المعلن لصرف النظر عن هذا المشروع هو كذبة متعمّدة تقول أنّ قصف قوّات التحالف في الحرب العالمية الثانية دمّر مجموعةً من الصور الفوتوغرافية لأعمال مبكّرة في مجال القراءات وصورًا لنُسَخ قرآنية بالخطّ الكوفي. ومع ذلك، في غمرة البكائيات التي شهدتها العقود الأخيرة وتنحو باللائمة على هذا القصف، انتبه بعضهم إلى أنّ المخطوطات القرآنية المبكّرة التي أُتيحت في أوروبا والعالم الإسلامي لم تَحْظَ بالدراسة[٢]. وفي الواقع، لم تنل هذه المخطوطات حظًّا من التحليل النصّي إلا في السنوات القليلة الأخيرة على أيدي باحثين من أمثال ياسين دتون. وكذلك لم يلتفت الكثيرون إلى أنّ السبب في تلك الخطى المتثاقلة التي تسير بها دراسة القراءات لا علاقة له بنقص المواد وغياب الأدوات.

---

(١) للوقوف على ملخص لمشروع النصّ النقدي، انظر: Jeffery, *Materials*, p. *vii*.

(٢) أقصد بهذا غياب الدراسات النصية المنهجية للمخطوطات، وبالطبع كانت هناك دراسات قيمة في حقل الكتابات القديمة لنبيهة عبود، والمنجد، وفرانسوا ديروش، وإستل ويلان، وآخرين. انظر ثبت المراجع الواردة في نهاية المصادر المذكورة في الهامش رقم (١)، ص٥٦.

من الجليّ أنّ دراسة التاريخ المبكّر للقرآن تستلزم مسارين مزدوجين؛ الأول: القراءات والمرويات المبكرة. والثاني: المخطوطات. وهذا المنهج ثنائيّ المسار هو ما اعتبره آرثر جيفري على مدار الثمانين عامًا الماضية الأساس الذي ينبني عليه إسهامه في المشروع سالف الذِّكْر. وكانت الخطوة الأولى تقتضي جمع «الاختلافات النصّية الموجودة في كتب التفاسير والمعاجم اللغوية وكتب القراءات وغيرها من المصادر»[١]، وهي مهمّة جبارة فوق طاقة البشر إذا أُنجزت بصورة شاملة مستوعبة[٢].

وكان هناك حلم بأن يأتي يوم تُجمع فيه كلّ القراءات المختلفة، وقد أصبح الحلم حقيقة وإن لم يحظَ هذا الإنجاز في الغرب بأيّ تقدير كالذي حاز عليه حلم برجستراسر وجيفري، ونُشرت العديد من المؤلَّفَات في مجال القراءات وجرى تحليل بعضها في العالم الإسلامي. كذلك هناك بعض الموسوعات في الوقت الحالي؛ مثل معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم مُكرّم الذي صدر في طبعتين في الكويت وطبعة على الأقل في إيران[٣]. هذا إلى جانب معجم القراءات الشامل لعبد اللطيف محمد الخطيب الذي صدر في

(1) Jeffery, *Materials*, p. *vii*.

(2) Jeffery, as quoted in Rabb, "Non-Canonical Readings", p. 87.

(٣) أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مُكرّم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، الطبعة الثانية، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٨.

سوريا، وهو عمل ممتاز أمعن صاحبه النظر في كتب التفسير واللغة والقراءات؛ وكان لهذه الجهود أثر بالغ في تحديد مسار هذا العلم ومهّدَت الطريق للدراسات التحليلية، ولا ريب أن الإفادة منها مبتغى ضروري في حقل الدراسات القرآنية.

فيما يخصّ دراسة المخطوطات، ربما يتّضح لبعضهم أنّ أكثر ما يحتاجه هذا الحقل هو قاعدة بيانات تضمّ صور جميع المخطوطات القرآنية. ولا شك أنّ عملًا كهذا سيكون موردًا عظيم النفع، لكن ثمة أمور تسهم في الوصول إلى ذلك الهدف وأخرى تحُول دون تحقّقه. ومن الجليّ أن المخطوطات القرآنية غير العثمانية ستمنحنا الكثير حول التاريخ المبكّر للقرآن، لكن حتى الآن ليس لدينا إلا مخطوطة واحدة معروفة تنتمي لهذه الفئة، هي طرس صنعاء (١). وعند الحديث عن جمع كلّ المخطوطات، نقصد في الأساس المواد العثمانية التي لا حصر لها، والهدف الرئيس لهذه المهمّة الضخمة إعادة بناء النموذج الأوّلي، وهو مصحف عثمان الأصلي. لكن كما مَرّ معنا من قبلُ، فإن كتابات مايكل كوك والآخرين قد أظهرَت معرفتنا الفعلية بنصّ المصحف العثماني الأصلي من حيث الرّسم والوحدات الصرفية، بمعنى أنّ الشكّ في النصّ من حيث الرسم يتعلّق في الأساس بطريقة الكتابة والتهجئة. واللائحة التي تضم كلّ الطرق التي تختلف فيها الكلمات الواردة في المخطوطات العثمانية عن النصّ المعروف لن تكون سوى لائحة لتصويبات لاحقة تفيد في أفضل صورها في تتبّع

تاريخ نشأة المخطوطات بعد سنة ٦٥٦م. وربما تفيد المعلومات الجديدة في توضيح بعض ممارسات الكتابة والتهجئة، وبعض السواكن غير المعجمة المختلف فيها وكذا بعض مواضع الفواصل بين الآي في المصاحف الأصلية التي وزّعها عثمان على الأمصار. وإذا ظهر أيّ شيء جديد، فلا شكّ أنه سيحظى باهتمام المتخصّصين في دراسة القرآن، لكن لا يُتوقع أن يكون لهذا أثر كبير في فهمنا لتاريخ القرآن.

إنّ حجم العمل المطلوب كبير والمسارات الرئيسة للانطلاق نحو إنجاز هذه المهام واضحة، وقد بات من الواضح أيضًا أنّ الأعمال الحديثة في هذا النوع من السرد التاريخي الخيالي لا تعود بفائدة تُذكر، وأعني بالسرد التاريخي كتابات المؤلِّفين الذين يركنون إلى جبل من المادة العلمية الموجودة في المصادر الأولية والثانوية الإسلامية التي تعود لحقبة ما قبل العصر الحديث وتتعلق بالنشأة والأصول الإسلامية، ورغم ذلك يزعمون أنه ليس ثمة ما يمكن تعلّمه من تلك المصادر والكتابات وليس هناك آفاق للبحث فيها، ويشكون من ضآلة الأدلة العلمية. وفي محاولة منهم للتحرّر من ضرورة تحليل الدراسات السابقة تحليلًا نقديًّا، لا مشكلة لديهم في تلفيق روايات تاريخية لا أساس لها من الصحة ولا ينهض دليل عليها وإلا فهو دليل مُجتزأ. ولا يلتفتون لهذا الطَّوْد الشامخ من الدراسات، فهي عندهم وَهْمٌ وخداع منبثق عن عقيدة دينية أو مؤامرات كونية أو خداع جماعي أو على أحسن حال فقدان للذاكرة طال

الجميع بلا استثناء، دون أن يدركوا أن المصادر الأدبية لا تُحمل بالضرورة على المعنى الظاهري دومًا لإثبات مسألةٍ ما؛ أو أنهم يغضُّون الطرف ببساطة عن هذا الكمّ من الأدلة ويمرّون عليه في صمت مَرّ الكرام. ومن النماذج الأولى الرائدة للسرد التاريخي الخيالي كتاب (الهاجريون) لباتريشيا كرون ومايكل كوك. ورغم أنّ هذه السردية لم تحظَ بالقبول سوى لدى عدد محدود من المتخصّصين، إلا أنّ الكتاب كان له بالغ الأثر في تشكيل نظرة العلماء؛ فقد هيأ الظروف لفئة من الطلاب والمعلمين ممن لا يجدون غضاضة في أن يقولوا لسنا نَعلم أيَّ شيء عن الأصول الإسلامية، بل ولا يمكن أن نخرج بأيّ شيء عنها من المصادر الأدبية. وما كنّا لنجد إشكالًا في ذلك لو أنّ جبل الأدلة قد خضع لدراسة نقدية قبل أن ينحَّى جانبًا ولا يُعار أيّ اهتمام؛ لكنّا لم نشهد انطلاق دراسة نقدية حديثة لهذه الأدلة الأدبية. والأهمّ أنه قد تجلّى بوضوح من عدد من النتائج أننا لو تحمّلنا عناء هذا العمل لخرجنا منه بنتائج إيجابية، ولاتّضَح لنا أنّ مشهد الأدلة الأدبية ليس مجرّد أنقاض مشتتة، بل هو بعيد كلّ البُعد عن هذا، فهو بناء متماسك يتّسم باتساق عجيب. وأبرز مثال على هذه النتائج ما أسفرت عنه دراسات مايكل كوك الحديثة للمصادر الأدبية في بحثَيْن أشرنا إليهما في موضع سابق من هذا البحث. ولا أقصد هنا إبراز ما أقرّه كوك من بعض عناصر الرواية التقليدية عن المصحف القياسي، وهو قطعًا أمرٌ جدير بالاهتمام، وإنما قصدي أن أثبت إمكانية الإفادة من دراسة المصادر الأدبية.

الملحق (١): النص السفلي: (أ) العناصر البسيطة (ب) الاستصحاب الصوتي للعناصر الكبرى:

العناصر الموضوعة بين قوسين لا تظهر إلا بصورة جزئية لكنها كافية لتبرير القراءة الواردة هنا.

العناصر الموضوعة بين قوسين مزدوجين غير واضحة والقراءات الواردة هنا تعتمد بشكلٍ كبيرٍ على الظنّ والتخمين.

أ) العناصر البسيطة:

مرّ معنا في جزء سابق من هذا البحث المراد بلفظ «البسيطة» فيمكن الرجوع إليه.

الآية	مصحف عثمان	مصحف الصحابي C-1	نوع الاختلاف
سورة البقرة، الآية (٢٠٠)	ما له	ما لهم	بسيط (الضمير)
ملاحظة: ما ورد في نسخة المصحف C-1 مشكِل؛ إذ يعود الضمير على مذكر مفرد.			
البقرة: (٢١٠)	ينظرون إلا أن يأتيهم	تنظرون إلا أن يأتيكم	بسيط (الضمير)
البقرة: (٢٢٠)	فإخوانكم	فإخوانهم	بسيط (الضمير)
ملاحظة: ما ورد في نسخة المصحف C-1 لا معنى له، بينما تبدو القراءة منطقية في مصحف عثمان.			
المائدة (٤٥)	له	(لكم)	بسيط (الضمير)
المائدة: (٥١)	بعضهم	بعضكم	بسيط (الضمير)

الآية	مصحف عثمان	مصحف الصحابي C-1	نوع الاختلاف
المنافقون: (١)	نشهد	يشهدو(ا)	بسيط (الضمير)
المنافقون: (٤)	فاحذرهم	(فاحذروهم)	بسيط (الضمير)
المنافقون: (١٠)	فيقول رب أخرتني	فيقول رب أخرنا	بسيط (الضمير)
	...فأصدق وأكن	...فأصدق (وأكن)	
الجمعة: (٣)	منهم... بهم	(منكم... بهم)	بسيط (الضمير)
البقرة: (١٩١)	يقتلوكم فيه	يقتلوكم	سقط بسيط (فيه)
البقرة: (١٩٦)	فإن أحصرتم	إن أحصرتم	سقط بسيط (الفاء)
البقرة: (١٩٦)	ففدية	فدية	سقط بسيط (الفاء) خطأ واضح ليد الناسخ
البقرة: (١٩٨)	من قبله	قبله	سقط بسيط (من)
البقرة: (٢١٧)	سبيل الله	(سبيله)	سقط بسيط (الله)
المائدة: (٤٢)	أعرض عنهم	أعرض	سقط بسيط (عنهم)
المائدة: (٤٣)	إنا أنزلنا	وأنزلنا	سقط بسيط (إنا)
المائدة: (٤٩)	واحذرهم أن	واحذر أن	سقط بسيط (هم)
الحجر: (٥٩)	إنا لمنجوهم	إنا منجوهم	سقط بسيط (حرف اللام)
المنافقون: (١)	لرسوله	(رسوله)	سقط بسيط (حرف اللام)

الآية	مصحف عثمان	مصحف الصحابي C-1	نوع الاختلاف
الجمعة: (١١)	من اللهو ومن التجرة	من اللهو والتجرة	سقط بسيط (ومن)
الفجر: (٢٥)	فيومئذ	(يومئذ)	سقط بسيط (الفاء)
البقرة: (١٩٤)	بمثل ما اعتدى عليكم	بمثل ما اعتدى عليكم به	إضافة بسيطة (به)
البقرة: (٢١٧)	قتال فيه	و(عن) قتل فيه	إضافة بسيطة (وعن)
البقرة: (١٩٧)	فلا رفث	فلا رفث (فيهن)	إضافة بسيطة (فيهن)
النسخة C-1 مرشحة لحدوث خطأ من قبيل استيعاب الألفاظ القريبة.			
البقرة: (٢٠٤)	في الدنيا	في (هذه) الدنيا	إضافة بسيطة (هذه)
النسخة C-1 مرشحة لاستيعاب النظير في سورة آل عمران: الآية ١١٧، والأعراف: الآية ١٥٦؛ وهود، الآية ٦٠؛ والنحل، الآية ٣٠؛ وطه، الآية ٧٢؛ والقصص، الآية ٤٢؛ والعنكبوت، الآية ٦٤؛ والزمر، الآية ١٠؛ وغافر، الآية ٣٩.			
البقرة: (١٩٤)	فمن	ومن	إبدال بسيط (الواو بدلًا من الفاء)
البقرة: (١٩٦)	بالعمرة	بعمرته	إبدال بسيط (إضافة لضمير الملكية)
البقرة: (١٩٨)	فضلًا	الفضل	إبدال بسيط (معرفة في مقابل نكرة)
البقرة: (٢٠٠)	فإذا	وإذا	إبدال بسيط (الفاء في مقابل الواو)
المائدة: (٤٢)	فلن يضروك	لا يضروك	إبدال بسيط (لن في

الآية	مصحف عثمان	مصحف الصحابي C-1	نوع الاختلاف
			مقابل لا)
هناك حالة إبدال مشابهة لكن في الاتجاه العكسي، سورة الجمعة، الآية السابعة.			
المائدة: (٤٣)	وما أولئك	فما أولئك	إبدال بسيط (الواو في مقابل الفاء)
المائدة: (٤٤)	للذين	والذين	إبدال بسيط (حرف اللام مقابل حرف الواو)
المائدة: (٥٤)	فسوف	فسـ	إبدال بسيط (ترادف: سوف في مقابل السين)
المنافقون: (٨)	ولرسوله وللمؤمنين	(وللرسول والمؤمنين)	إبدال بسيط (الإضافة في مقابل الإطلاق)
الجمعة: (٧)	ولا يتمنونه	ولن يتمنوه	إبدال بسيط (لا مقابل لن)
هناك موضع إبدال شبيه في الاتجاه المعاكس، في سورة المائدة، الآية ٤٢.			

ب) الاستصحاب الصوتي للعناصر الكبرى:

مرّ معنا من قبل المراد بلفظ «الكبرى»، فيمكن الرجوع إليه في موضعه من هذا البحث.

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
البقرة: (١٩٦)	استيسر	تيسر	استصحاب صوتي (مرادف من نفس الجذر)
البقرة: (١٩٦)	فما استيسر	فما تيسر	استصحاب صوتي (مرادف من نفس الجذر)
البقرة: (٢١٩)	الأيت	(الآية)	استصحاب صوتي (مفرد مقابل جمع)
لفظ الجمع المذكور في مصحف عثمان هو المنطقي. في مواضع أخرى من القرآن تأتي عبارة: {يبين الله} متبوعة بلفظ الجمع {آيات}، كما ورد في سورة البقرة، في الآيات: ١٨٧، ٢١٩، ٢٤٢، ٢٦٦؛ وفي سورة آل عمران، في الآية ١٠٣؛ وسورة المائدة في الآيات: ٨٩، ٢٤، ١٨؛ وفي سورة النور، في الآيات: ١٨، ٢٤، ٥٨، ٥٩، ٦١.			
البقرة: (٢٢٢)	فإذا تطهرن	فإذا (طهرن)	استصحاب صوتي (فعل من نفس الجذر)

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
المائدة: (٤١)	ولهم في الاخرة	و(في) (الاخر)ة لهم	استصحاب صوتي (إبدال الموضع)
المائدة: (٤٢)	سمعون...أكلون	(يسمعون)... أكلون	استصحاب صوتي (كلمة بديلة من نفس الجذر)
المائدة: (٤٣)	وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله	وكيف يحكمونك والتورية فيها حكم الله (عندهم)	استصحاب صوتي (إبدال الموضع)
المائدة: (٤٣)	هدى ونور	نور و(هدى)	استصحاب صوتي (إبدال موضع)
المائدة: (٤٣)	النبيون	الأنبياء	استصحاب صوتي (صيغة جمع مكافئة) وترد الصيغتان في القرآن.
المائدة (٤٥)	من تصدق به	(فإن) تصدقوا بها	استصحاب صوتي (تركيب الألفاظ علاوة على تغيير بسيط يشمل الضمير والتذكير والتأنيث)

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
في المصحف C-1، هناك موضع غير مقروء؛ لذا لا يمكنني تحديد الكلمة التالية هل هي فهو أو فهي. وتبدو لفظة {به} الواردة في مصحف عثمان أكثر ملاءمة من {بها} في المصحف C-1. هناك موضع آخر يدل على استخدام المصحف C-1 للصيغة الشرطية {إنْ} بدلًا من {مَنْ}، ويرِد معنا في الملحق (٢) في الجزء (ج)، في سورة البقرة، الآية ١٩٦. وكِلتا الصيغتين لها شواهد أخرى في القرآن.			
المائدة: (٤٧)	أنزل الله فيه	أنزل (عليهم) فيه	استصحاب صوتي (البناء للمعلوم والمجهول علاوة على عناصر بسيطة)
صيغة المبني للمجهول {أُنزِل} متبوعة بحرف الجر {على} ترِد في القرآن في أحد عشر موضعًا (في سورة البقرة، الآية ٩١؛ وسورة آل عمران، الآية ٨٤؛ وسورة الأنعام، الآيتين ٨، ١٥٧؛ وسورة يونس، الآية ٢٠؛ وسورة هود، الآية ١٢؛ وسورة الرعد، الآية ٢٧؛ وسورة الفرقان، الآية ٢١؛ وسورة العنكبوت، الآية ٥٠؛ وسورة ص، الآية ٨). الفعل {أَنزَل} بالبناء للمعلوم يرِد في القرآن في ستة وستين موضعًا، منها تسعة وعشرون متبوعًا بحرف الجر {إلى}.			
المائدة: (٤٨)	لكل جعلنا منكم شرعة	لكل (منكم) جعلنا (شرعة)	استصحاب صوتي (إبدال موضع أو سقط بسيط)

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
المائدة: (٥٠)	من الله حكمًا	(حكمًا) من الله	استصحاب صوتي (إبدال موضع)
المائدة: (٥٢)	فيصبحوا	فيصبحو(ن)	استصحاب صوتي (بناء الفعل)
الحجر: (٦٥)	تؤمرون	يامرون	استصحاب صوتي (البناء للمعلوم والمجهول علاوة على الضمير)
المنافقون: (١)	والله يشهد	ويشهد (الله)	استصحاب صوتي (إبدال الموضع)
الجمعة: (٧)	يتمنونه	يتمنوه	استصحاب صوتي (يتمنونه في مقابل يتمنوه)

لا ترِد كلمة: {يتمنَّونه} في أيّ موضع آخر من القرآن وفق مصحف عثمان، ولكن وردت عبارة: {كنتم تمنَّون الموت} في سورة آل عمران، الآية ١٤٣.

أمّا في المصحف C-1 فترِد هذه الآية كاملة في موضع آخر، هو الآية ١٩٥ من سورة البقرة لكن بلفظ {يتمنوه}(*).

(*) ذكر الكاتب أن آية سورة البقرة هي الآية رقم ١٩٥ والصواب ٩٥. (المترجم).

الملحق (٢): النص السفلي، عناصر كبرى: (أ) مواضع السقط (ب) مواضع الإضافة (ج) مواضع الإبدال (د) أخطاء النساخ (هـ) اختلافات غير مقروءة.

العناصر الموضوعة بين قوسين لا تظهر إلا بصورة جزئية لكنها كافية لتبرير القراءة الواردة هنا.

العناصر الموضوعة بين قوسين مزدوجين غير واضحة والقراءات الواردة هنا تعتمد بشكل كبير على الظن والتخمين.

أ) مواضع السقط في المصحف C-1 (زيادات في مصحف عثمان):

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف (مصحف C-1 مقارنة بمصحف عثمان
البقرة: ١٩٦	ولا تحلقوا رؤسكم	ولا تحلقوا	سقط (رؤسكم)
يشتمل مصحف عثمان على ما يمكن اعتباره من قبيل النظير في موضع آخر، حيث ترِد كلمة: {رؤسكم} والفعل «حَلَقَ» في موضع واحد في القرآن في سورة الفتح في الآية السابعة والعشرين في قوله: {محلِّقين رؤسكم}.			
البقرة: ١٩٦	من صيام أو صدقة أو نسك	من صيم أو نسك	سقط (أو صدقة)
فقد جاء في مصحف عثمان: {من صيام أو صدقة أو نسك} بينما جاء في المصحف C-1 {من			

صيام أو نسك}. وليس للنسختين نظير في أيّ موضع آخر من القرآن. الكلمة التي سقطت من المصحف C-1 هي كلمة {صدقة} وترِد في ستة مواضع من القرآن في مصحف عثمان (في سورة البقرة، في الآيتين: ١٩٦، ٢٦٣؛ وفي سورة النساء في الآية ١١٤؛ وسورة التوبة، ١٠٣؛ وسورة يوسف، الآية ٢٦؛ وسورة المجادلة، الآية ١٢). وترِد صيغة الجمع {صدقات} في ثمانية مواضع (في سورة البقرة، الآيات: ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٦؛ وفي سورة التوبة، الآيات: ٥٨، ٦٠، ٧٩، ١٠٤؛ وفي سورة المجادلة، في الآية ١٣).			
البقرة، الآية ٢٠١	في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة وقنا	في الدنيا والأخرة وقنا	سقط (حسنة...في حسنة)
أقرب نظير يرِد في سورة الأعراف في الآية ١٥٦ في قوله: {واكتب لنا في هذه الدنية حسنة وفي الآخرة}؛ وانظر سورة النحل، الآيات: ٣٠، ٤١، ١٢٢. وترِد عبارة: {الدنيا والآخرة} في خمسة عشر موضعًا في القرآن. وترد كلمة: {حسنة} في ستة وعشرين موضعًا آخر في القرآن. ولا يمكن اعتبار ما ورد في مصحف عثمان أو في المصحف C-1 غير مألوف، فكلاهما له معنى في السياق الذي يرِد فيه.			
البقرة: ٢١٣	بغيًا بينهم		سقط (بغيًا بينهم)
عبارة: {بغيًا بينهم} في مصحف عثمان ترِد في ثلاثة مواضع أخرى في سياقات مماثلة، وذلك في سورة آل عمران، الآية ١٩؛ وسورة الشورى، الآية ١٤؛ وسورة الجاثية، الآية ١٧. كما ترد لفظة: {بغيًا} في سورة البقرة في الآية (٩٠)؛ وفي سورة يونس في الآية (٩٠).			
البقرة: ٢١٣	الذين خلوا من قبلكم	الذين من قبلكم	سقط (خلوا)
النص الوارد في مصحف عثمان له نظائر في مواضع أخرى من القرآن؛ في سورة النور في الآية			

٣٤: {الذين خلوا من قبلكم}؛ وسورة يونس، الآية ١٠٢: {الذين خلوا من قبلهم}؛ وسورة الأحزاب، الآية ٦٢: {في الذين خلوا من قبل}. ومع ذلك فإن ما جاء في المصحف C-1 له شواهد أكثر في القرآن؛ فترِد عبارة: {الذين من قبلكم} في سورة البقرة في الآية ١٨٣؛ وسورة النساء، الآية ٢٦؛ وسورة التوبة في الآية ٦٩؛ وسورة إبراهيم في الآية ٩. في حين ترد عبارة: {الذين من قبلهم} في البقرة في الآية ١١٨؛ وفي الأنعام في الآية ١٤٨؛ وفي التوبة، في الآية ٧٠؛ وفي يونس في الآية ١٢؛ وفي يوسف في الآية ١٠٩؛ وفي الرعد في الآية ٤٢؛ وفي النحل في الآيات: ٢٦، ٣٣، ٣٥؛ وفي سورة النور في الآيتين: ٥٥، ٥٩؛ وفي سورة العنكبوت في الآية الثالثة؛ وفي الروم في الآية ٩؛ وفي سبأ في الآية ٤٥؛ وفي فاطر في الآيتين: ٢٥، ٤٤؛ وفي الزمر في الآيتين: ٢٥، ٥٠؛ وفي غافر في الآية ٨٢؛ وفي محمد، الآية العاشرة؛ وفي الذاريات في الآية ٥٢؛ وفي المجادلة الآية الخامسة؛ وفي الحشر الآية الثانية؛ وفي الملك الآية ١٨. وكذلك ترد عبارة: {الذين من قبلنا} في البقرة في الآية ٢٨٦. أمّا عبارة: {الذين من قبل}؛ فترِد في سورة الروم في الآية ٤٢. وعبارة: {الذين من قبلك} في الزمر في الآية ٦٥؛ والشورى في الآية الثانية.			
البقرة: ٢١٧	وكفر به		سقط (وكفر به)
وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي ترِد فيه عبارة: {وكفر به} في مصحف عثمان، لذا لا يمكن القول بأنها متوقعة في السياق.			
البقرة: ٢١٧	يردوكم عن دينكم	يردوكم	سقط (عن دينكم)
نجد في مصحف عثمان عبارة: {عن دينكم} دون مصحف C-1، وفي مواضع أخرى في القرآن يرد الفعل «يردوكم» ومشتقاته ومعه عبارة: {عن دينكم} أو بدونها. وتأتي هذه العبارة المبينة في مصحف C-1 ومصحف عثمان في سورة المائدة في الآية ٥٤: {يرتد منكم عن دينه} (انظر الآية			

٢١٧ من سورة البقرة). ومع ذلك، حين يُذكر الفعل بدون العبارة المبينة كما في الآية ١٠٩ من سورة البقرة؛ والآيتين: ١٠٠، ١٤٩ من سورة آل عمران، فإن السياق كافٍ في توضيح ما يرتدّ عنه المرء. بعبارة أخرى، للوهلة الأولى يبدو من الغريب خلوّ مصحف C-1 من العبارة المبينة لما يرتدّ عنه المرء في هذا الموضع. ومع ذلك فإن وجودها في جزء لاحق من الآية كما يتضح من الجزء الظاهر من حرف النون في كلمة {دينه} يزيل اللبس.

البقرة: ٢١٨	ان الذين امنوا والذين هاجروا وجهدوا	ان الذين امنوا وهجروا	سقط (والذين...وجهدوا)

ورد في مصحف عثمان: {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا}، بينما جاء في مصحف الصحابي C-1: {إن الذين آمنوا وهاجروا}. فيشتمل مصحف عثمان على عنصر لا وجود له في مصحف C-1 هو {جاهدوا}. أمّا العنصران الآخران الموجودان في المصحفين فهما {آمنوا}، {هاجروا}.

ولا ترِد {هاجروا} مع {آمنوا} في أيّ موضع آخر من القرآن إلا في وجود {جاهدوا}؛ ولذا فإن تجاور الكلمتين في مصحف C-1 لا يمكن أن يكون أمرًا بديهيًّا متوقعًا.

وفي مصحف عثمان نجد الأفعال الثلاثة متجاورة في مواضع ثلاثة أخرى في الآيتين: ٧٢، ٧٤ من سورة الأنفال؛ وفي الآية ٢٠ من سورة التوبة: {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا} (انظر سورة الأنفال، الآية ٧٥)؛ لذا فإن وجود {جاهدوا} في هذا الموضع ليس أمرًا مستغربًا.

البقرة: ٢٢١	المغفرة بإذنه	المغفرة	سقط (بإذنه)

ترد كلمة {بإذنه}: في ثمانية مواضع أخرى في القرآن (في سورة البقرة في الآيتين: ٢١٣، ٢٥٥؛ وسورة آل عمران في الآية ١٥٢؛ والمائدة، الآية ١٦؛ وسورة هود، الآية ١٠٥؛ وسورة الحج، الآية ٦٥؛ وسورة الأحزاب، الآية ٤٦؛ وسورة الشورى الآية ٥١). كما ترد {بإذن} في ثلاثة

وعشرين موضعًا متبوعة بلفظ الجلالة {الله} أو بكلمة {رَبّ}. ولا ترد الكلمة في أيٍّ من هذه المواضع مقرونة بالمغفرة. ومع ذلك فإنّ الآية التي معنا لها نظير في سورة الأحزاب في الآية ٤٦ في قوله: {وداعيًا إلى الله بإذنه}. وفي ضوء هذا التناظر يمكن القول أنّ ما ورد في مصحف عثمان ليس أمرًا غير متوقع بالكلية.			
البقرة: ٢٢٢	فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن	(فلا تقربوا) النساء في (محيضهن) حتى يتطهرن	سقط (فاعتزلوا) علاوة على اختلاف الترتيب وعناصر بسيطة.
والاختلاف الرئيس هنا هو وجود فعل الأمر {فاعتزلوا} في مصحف عثمان وغيابه عن مصحف C-1. (أمّا الاختلافات الأخرى فراجعة إلى الاستصحاب الصوتي وعناصر بسيطة). ويرِد الفعل «اعتزل» في ستة مواضع أخرى من القرآن؛ منها موضع بلفظ الأمر، لكن لا ترِد في سياق مادّي أو جنسي. ولا نظير لهذه الآية في أيّ موضع. ولذا لا يمكن للناسخ أن يتوقع مجيء الفعل {فاعتزلوا} في هذا الموضع. ولا تحتمل الآية الواردة في مصحف عثمان حدوث تداخل ذاتي. انظر سورة النساء، في الآيتين: ٩٠، ٩١؛ وسورة الكهف، الآية ١٩؛ وسورة الفتح، الآيتين: ٤٨، ٤٩؛ وسورة الدخان، الآية ٢١.			
المائدة: ٤٢	فإن جاؤك فاحكم بينهم	فاحكم بينهم	سقط (فإن جاؤك)
العبارة الواردة في مصحف عثمان لا شاهد لها في موضع آخر، وترِد كلمة {جاؤك} في أربعة مواضع أخرى: (في سورة النساء في الآيتين: ٦٢، ٦٤؛ وفي الأنعام، في الآية ٢٥؛ وفي سورة المجادلة في الآية الثامنة)، ويسبقها في موضعين {إذا} لكن لا تأتي مقرونة بـ{إنْ} الشرطية.			

وتأتي {جاءك} في أحد عشر موضعًا مسبوقة في ثلاثة منها بـ{إذا} : انظر سورة البقرة، الآيتين: ١٢٠، ١٤٥؛ وسورة آل عمران الآية ٦١؛ وسورة المائدة الآية ٤٨؛ وسورة الأنعام، الآيتين: ٣٤، ٥٤؛ وسورة يونس، الآية ٩٤؛ وسورة الرعد، الآية ٣٧؛ وسورة الممتحنة، الآية ١٢؛ وفي الآية الأولى من سورة الصف؛ والثامنة من سورة عبس. كما تأتي كلمة {جاؤك} في المصحف C-1 في الآية الرابعة من سورة المنافقون لتعود بنا إلى {جاءك} في مطلع السورة (انظر ما يأتي).			
المائدة، ٤٤	فلا تخشوا الناس	فلا تخشوهم	سقط (الناس)
لا ترِد عبارة: {فلا تخشوا الناس} في أيّ موضع آخر من القرآن وإن كان لها نظير قريب في سورة النساء في الآية ٧٧: {فريق منهم يخشون الناس كخشية الله}، وكلمة «الناس» من الكلمات الشائعة في القرآن؛ فقد وردت ٢٤٧ مرة. وفي المقابل فإن عبارة: {فلا تخشوا} التي وردت في المصحف C-1 لها شواهد في القرآن في سورة البقرة في الآية ١٥٠ وفي سورة المائدة في الآية الثالثة.			
المائدة: ٤٩	فاعلم أنما	(فإنما)	سقط (فاعلم)
جاءت الآية في مصحف عثمان بلفظ: {فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم}. ومجيء الفعل {تولَّوا} في جملة الشرط إلى جوار الفعل {فاعلم} يرِد في القرآن: في سورة المائدة، في الآية ٩٢: {فإنْ تولَّيتم فاعلموا}؛ وفي سورة الأنفال، الآية ٤٠: {وإنْ تولّوا فاعلموا}؛ وفي سورة التوبة، الآية الثالثة: {وإنْ تولّيتم فاعلموا}. وفي المقابل نجد عددًا من المواضع المناظرة في المصحف C-1 في سورة البقرة، في الآية ١٣٧ في قوله: {وإنْ تولّوا فإنما}؛ وفي سورة آل عمران في الآية عشرين (نفسها)؛ وفي سورة النحل، في الآية ٨٢ (نفسها بإضافة حرف الفاء)؛ وفي سورة النور، في الآية ٥٤ (نفسها بحرف الفاء)؛ وفي سورة التغابن، في الآية ١٢: {فإنْ تولّيتم فإنما}.			

المنافقون: الآية الأولى	المنفقون قالوا	المنفقون	سقط (قالوا)
كلمة قالوا من الكلمات الشائعة في القرآن.			

ب) مواضع الإضافة في المصحف C-1:

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
البقرة، الآية ١٩٣	ويكون الدين لله	ويكون الدين كله لله	إضافة (كله)
ترِد الجملة المذكورة في مصحف C-1 كاملة في موضع آخر في مصحف عثمان في سورة الأنفال، في الآية ٣٩. لذا فإن مجيء كلمة {كله} هنا متوقعة لمن له معرفة بلغة القرآن. وفي المقابل فإن الآية المذكورة في مصحف عثمان لا ترِد في موضع آخر.			
البقرة: (٢٠٠)	اتنا في الدنيا	اتنا في (هذه الحيوة) الدنيا	إضافة (هذه الحيوة)
نسخة المصحف C-1 تحتمل استيعاب النظير في سورة آل عمران، الآية ١١٧؛ وسورة الأعراف، الآية ١٥٦؛ وهود، الآية ٦٠؛ وسورة النحل، الآية ٣٠؛ وسورة طه، الآية ٧٢؛ وسورة القصص، الآية ٤٢؛ وسورة العنكبوت، الآية ٦٤؛ وسورة الزمر، الآية العاشرة؛ وسورة غافر، الآية ٣٩.			
المائدة: (٤٤)	للذين هادوا والربنيون والاحبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء	والذين هدوا يحكمون بما نزل الله فيها (و) يحكم به الـ(ربنيـ)ون والا(حبر) بما استحفظوا من كتب الله (و) كانوا عليه شهداء	إضافة (يحكمون بما أنزل الله فيها) وكذلك (يحكم به)

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
وما جاء في مصحف C-1 من قوله: {يحكمون بما نزّل (هل تُقرأ أنزل؟) الله فيه}، قريبة من عبارة أخرى في الآية نفسها: {من لم يحكم بما أنزل الله}، والتي تتكرّر مرتين في الآيتين التاليتين. ولذا نجد في الآية ٤٨ من سورة المائدة قوله: {فاحكم بينهم فيما أنزل الله}. وهناك عبارة شبيهة في الآية التي تليها كذلك. وبذلك فإن الألفاظ الزائدة في مصحف C-1 هي عناصر لغوية بسيطة تتكرر خمس مرات في مواضع مجاورة للآية التي معنا؛ ولذا ليست أمرًا غير متوقع، وتحتمل حدوث خطأ من قبيل استيعاب الألفاظ القريبة.			
المائدة: (٤٥)	وكتبنا عليهم	وكتبنا على بني اسرائل	إضافة (على بني إسرائل)
عبارة: {كتبنا على بني إسرائل} ترِد في الآية (٣٢) من سورة المائدة، أي قبل الآية التي معنا بعدد بسيط من الآيات. وهذا القرب يفسر إمكانية أن تكون الزيادة الواردة في المصحف C-1 خطأ يتعلق بالذاكرة وتعلّقها بالآية السابقة.			
المنافقون: (٣)	ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا	ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا ثم (ا)ز(ددو) كفر(ا)	إضافة (ثم ازدادوا كفرا)
المنافقون: (٣)	ذلك بانهم... فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون	ذلك بانهم... فطبع على قلوبهم ذلك بأنهم قوم لا يفقهون	إضافة (ذلك بأنهم قوم)
عبارة: {ذلك بأنهم} في المصحف C-1 تكرار للعبارة ذاتها التي وردت في الآية السابقة. ويرد			

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
التركيب {قوم لا} في سبعة مواضع: (المائدة: ٥٨؛ والأنفال، ٦٥؛ والتوبة، ١٢٧؛ والزخرف، ٨٨؛ والحشر، في الآيتين: ١٣، ١٤). منها ثلاثة مواضع بلفظ: {قوم لا يفقهون}: (في سورة الأنفال، ٦٥؛ وسورة التوبة، ١٢٧؛ وسورة الحشر، الآية ١٣). وفي المقابل فإن عبارة: {فهم لا يفقهون} المذكورة في مصحف عثمان لها شواهد أخرى، انظر سورة التوبة، ٨٧. وهناك مواضع ترد فيها {لا يفقهون} دون أن تكون مقرونة بكلمة {قوم}، كما في سورة الأعراف، الآية ١٧٩؛ وسورة الفتح، الآية ١٥؛ وسورة المنافقون، الآية السابعة.			
المنافقون: (٧)	ينفضوا	ينفضوا من حوله	إضافة (من حوله)
ما ورد في المصحف C-1 له نظير في سورة آل عمران، في الآية ١٥٩ في قوله: {لانفضوا من حوله}.			
المنافقون: (٨)	ولله العزة	ولله العزة جميعًا	إضافة (جميعًا)
كلمة: {جميعًا} الواردة في المصحف C-1 ترِد في القرآن في أربعة وأربعين موضعًا. وهناك نظائر قريبة للكلمة الواردة في المصحف C-1: في سورة فاطر في الآية العاشرة: {فلله العزة جميعًا}؛ النساء، الآية ١٣٩: {فإن العزة لله جميعًا}؛ وسورة يونس، الآية ٦٥: {إن العزة لله جميعًا}؛ وسورة الرعد، الآية ٣١: {لله الأمر جميعًا}؛ وسورة الزمر، الآية ٤٤: {لله الشفاعة جميعًا}؛ البقرة، الآية ١٦٥: {إن القوة لله جميعًا}. أمّا عبارة: {ولله العزة} التي وردت في مصحف عثمان فلا ترِد بهذه الصورة في أيّ موضع آخر، وإنما ترد مقرونة بكلمة {جميعًا} كما في عبارة المصحف C-1 التي معنا.			
سورة المنافقون: (١١)	إذا	لغد (إن)	إضافة (لغد)
كلمة: {لغد} المذكورة في المصحف C-1 لها شاهد في سورة الحشر، في الآية (١٨). ويتشابه			

الآية	مصحف عثمان	المصحف C-1	نوع الاختلاف
السياق من الناحية اللغوية في الموضعين حيث يلي ذلك قوله: {والله خبير بما تعملون} الذي يرد في القرآن في خمسة مواضع أخرى. ومن الملاحظ هنا ذلك القرب النسبي بين هذا الشاهد والموضع الذي معنا. (كما ترد كلمة: {غدًا} في سورة يوسف، في الآية الثانية عشرة؛ وفي سورة الكهف، الآية ٢٣؛ وفي سورة لقمان، في الآية ٣٤؛ وفي سورة القمر، الآية ٢٦؛ وفي سورة الحشر، الآية ١٨).			
سورة الجمعة: (٦)	أنكم أولياء لله	أنكم أولياء لله في الآخرة	إضافة (في الآخرة)
ورد لفظ: {في الآخرة} في المصحف C-1 وخلا منه مصحف عثمان. والآية التي معنا والتي تليها قريبتان من الآيتين (٩٤، ٩٥) من سورة البقرة. وتكاد تتطابق كلمات الآيتين. ومن الاختلافات الرئيسة بينهما أن الآية (٩٤) من سورة البقرة تشتمل على عبارة: {للدار الآخرة}، في حين خلت منها الآية التي معنا. ولذا فإن عبارة: {في الآخرة} الواردة في المصحف C-1 من المحتمل أنها راجعة للآيتين (٩٤- ٩٥) من سورة البقرة. وانظر النظير الوارد في سورة آل عمران في الآيتين (١٤٢- ١٤٣)، وفيهما الحديث عن الدار الآخرة وإن لم يرد لفظ {الآخرة}. ترد عبارة: {في الآخرة} في أربعة وعشرين موضعًا في القرآن، وترد كلمة {الآخرة} في مائة وثلاثة عشر موضعًا.			

ج) مواضع الإبدال بلا استصحاب صوتي:

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
البقرة: ١٩٦	فمن كان منكم مريضًا	فإن كان أحد منكم مريضًا	إبدال (تركيب الألفاظ: أحد مقابل من) واستصحاب صوتي (نفس الكلمات الثلاث المستخدمة في تراكيب مختلفة)
التراكيب اللفظية المستخدمة في المصحف C-1 ومصحف عثمان ترِد في مواضع أخرى من القرآن. على الجانب الآخر فإن اللغة المستخدمة في المصحف C-1 مألوفة تمامًا. وعبارة: {أحد منكم} الواردة في المصحف C-1 وتركيب {إن كان(ت)} لها شواهد في آيات الأحكام في مصحف عثمان: ويرد التركيب {إن كان(ت)} في حوالي أربعين موضعًا في مصحف عثمان، منها عدة آيات في سياق الأحكام: مثل سورة البقرة، في الآيتين: ٢٨٠، ٢٨٢؛ وسورة النساء، الآية الحادية عشرة (ثلاث مرات) والآية الثانية عشرة (٣ مرات) والآية ٩٢ (مرتين) وكذلك في الآية ١٠٢. وترد عبارة: {أحد من} ثلاث مرات في مصحف عثمان؛ منها: {أحد منكم} في موضعين. وجميع هذه المواضع آيات أحكام: (سورة النساء(*)، الآية ٤٣؛ سورة المائدة، الآية ٦، وسورة التوبة، الآية ٦).			

(*) سقط اسم السورة، وهي سورة النساء. (المترجم).

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
في المقابل، نجد الآية في مصحف عثمان مشتملة على عبارة: {من كان منكم مريضًا} ولها نظائر قريبة منها في سياق آيات الأحكام كما في الآيات: ١٨٥، ١٩٦، ٢٣٢ من سورة البقرة؛ وسورة النساء، الآية السادسة (مرتين). ويرد لفظ: {من كان} في سبعة وثلاثين موضعًا في مصحف عثمان في سياق لا علاقة له بآيات الأحكام عادة. وثمة مثال آخر يوضح ميل المصحف C-1 إلى استخدام صيغة الشرط {إنْ} بدل {مَنْ}، وهو الآية (٤٥) من سورة المائدة.			
البقرة: ١٩٧	تفعلوا	تعملوا	إبدال (تفعلوا في مقابل تعملوا)
وهناك تشابه في شكل الكلمتين؛ لذا ربما كان سبب هذا الاختلاف هو النسخ من المخطوطة. وجاءت الآية في مصحف عثمان بلفظ: {ما تفعلوا من خير} وله شاهد في الآية ٢١٥ من سورة البقرة؛ والآية ١٢٧ من سورة النساء. وهذان اللفظان المترادفان مما يشيع استخدامه في القرآن. وقد ورد لفظ {فعل} في مصحف عثمان في ١٠٨ موضعًا، في حين جاء لفظ {عمل} المذكور في مصحف C-1 في ٣٥٩ موضعًا في القرآن مقرونًا بكلمات مختلفة.			
البقرة: (٢٠٩)	جائتكم البينت	جاءكم الهدى	إبدال (جائتكم البينات في مقابل جاءكم الهدى)
وترِد العبارتان في مواضع أخرى من القرآن، فنجد لفظ: {جاءكم الهدى} في سورة الإسراء، في الآية ٩٤؛ وفي سورة الكهف، في الآية ٥٥: (انظر ما جاء في سورة القصص في الآيتين			

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
٣٧، ٨٥). وكذلك نجد لفظ: {جاءكم بينة} في سورة الأنعام، في الآية ١٥٧؛ وفي سورة الأعراف، في الآية ٧٣، وكذلك الآية ٨٥ (انظر سورة غافر، الآية ٢٨).			
البقرة: (٢١٣)	فبعث	فأرسل	إبدال: مرادف (فأرسل في مقابل فبعث)
يرِد الفعل {بعث} في خمسة وستين موضعًا في القرآن، أغلبها في سياق البعث. ويرِد الفعل {أرسل} في ١٧٢ موضعًا. ويمكن استخدام الفعلين في الحديث عن إرسال الأنبياء والرسل (كما في الآية التي معنا)، إلا أن الفعل {أرسل} المذكور في المصحف C-1 أكثر استعمالًا في هذا السياق.			
المائدة: (٤٦)	نور ومصدقًا لما بين يديه من التورية	نور ومصدقًا لما أنزلنا من التورية	إبدال ({بين يديه} مقابل {أنزلنا}
لفظ: {بين يَدَي} (أو بين أيدي) المذكور في مصحف عثمان يرِد في أربعين موضعًا من القرآن. وله نظائر قريبة: في سورة البقرة، في الآية ٩٧؛ وفي سورة آل عمران، في الآيتين: ٣، ٥٠؛ وفي سورة المائدة، في الآية ٤٦ (مرة أخرى) وفي الآية ٤٨ من نفس السورة؛ وفي سورة الأنعام، في الآية ٩٢؛ وفي سورة يونس، في الآية ٣٧؛ وفي سورة يوسف، في الآية ١١١؛ وفي سورة فاطر، في الآية ٣١؛ وسورة يس، الآية التاسعة؛ وسورة الأحقاف، في الآية ٣٠؛ وسورة الصف، في الآية السادسة. وفي المصحف C-1 يأتي الفعل {أنزل} مقرونًا بكلمة {التوراة}: في سورة آل عمران، في			

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
الآيتين: ٣، ٦٥؛ وفي سورة المائدة، في الآية ٤٤ بلفظ {أنزلنا} في الموضعين الأول والأخير. ويرد الفعل {أنزلنا} في خمسة وخمسين موضعًا في القرآن. والخلاصة أن العبارتين لهما شواهد في مواضع أخرى، بل لهما شواهد في موضع قريب.			
المائدة: (٤٦)	للمتقين	لقوم (يومنون أو يوقنون)	إبدال ({للمتقين} مقابل {لقوم يؤمنون} أو {لقوم يوقنون})
نجد في مصحف عثمان: {موعظة للمتقين}، وترِد في ثلاثة مواضع أخرى: في سورة البقرة، في الآية ٦٦؛ وفي سورة آل عمران، في الآية ١٣٨؛ وفي سورة النور، في الآية ٣٤. (وترد كلمة {للمتقين} في سبعة عشر موضعًا آخر في القرآن). ترِد الآية في المصحف C-1 بلفظ: {موعظة لقوم يؤمنون} أو ربما {لقوم يوقنون}. ولا ترد كلمة {موعظة} في أيّ موضع آخر متبوعة بهذه العبارة. وترد عبارة: {لقوم يؤمنون} في ثلاثة عشر موضعًا: في سورة الأنعام، في الآية ٩٩؛ وفي سورة الأعراف، في الآيات: ٥٢، ١٨٨، ٢٠٣؛ وفي سورة يوسف، في الآية ١١١؛ وفي سورة النحل، في الآيتين: ٦٤، ٧٩؛ وفي سورة النمل، في الآية ٨٦؛ وسورة القصص، في الآية الثالثة؛ وسورة العنكبوت، في الآيتين: ٢٤، ٥١؛ وفي سورة الروم، في الآية ٣٧؛ وسورة الزمر، الآية ٥٢. وترِد كلمة {يوقنون} في أحد عشر موضعًا، منها أربعة مواضع بلفظ: {لقوم يوقنون}، وذلك: في سورة البقرة، في الآية ١١٨؛ وسورة المائدة، الآية ٥٠؛ وسورة الجاثية، في الآيتين: الرابعة، والعشرين. ومن الملاحظ أن العبارة المذكورة في الآية ٥٠ من سورة المائدة قريبة من الموضع الذي معنا، ومن الممكن أن تكون أثّرت في طريقة كتابة الآية.			

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
المائدة: (٤٩)	أنزل الله	أوحى الله	إبدال (مرادف: {أنزل} مقابل أوحى)
يرِد الفعل {أنزل} في القرآن ١٩٠ مرة بمعانٍ مختلفة ومقرونة بكلمات مختلفة؛ من ذلك في تسعة وعشرين موضعًا بلفظ: {أنزل الله}. ولا يقتصر استخدام هذا اللفظ على الحديث عن إنزال الوحي وإنما يرد في سياقات أخرى. أمّا الفعل {أوحى} فيرد في ثلاثة وسبعين موضعًا مقرونًا بكلمات مختلفة، منها في ثمانية مواضع بلفظ {أوحى} ويُستخدم هذا الفعل في سياق الحديث عن الوحي. ولا يمكن اعتبار مجيء اللفظين هنا أمرًا غير متوقع.			
المنافقون: (٤)	وإذا رأيتهم	وإذا (جاؤك)	إبدال (رأيتهم بدل جاؤك)
لفظة {جاؤك} في المصحف C-1 تعود بنا إلى {جاءك} في الآية الأولى من هذه السورة. وترِد كلمة {جاءك} في أحد عشر موضعًا في القرآن، منها ثلاثة مواضع بعد {إذا} الشرطية. انظر الآية ٤٢ من سورة المائدة. وترِد لفظة: {رأيتهم} في ثلاثة مواضع أخرى: (في سورة طه، في الآية ٩٢؛ وسورة الأحزاب، الآية ١٩؛ وسورة الإنسان، الآية ١٩)، لكنها لا ترد في سياق مماثل أبدًا. وأقرب نظير لها ما جاء في الآية ١٩ من سورة الإنسان.			

د) أخطاء بفعل يد النساخ:

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
البقرة (١٩٦)	ففدية	فدية	سقط بسيط (الفاء) يحتمل أنه خطأ بفعل يد الناسخ
البقرة: (٢٠٠)	فإذا قضيتم	وإذا أقضيتم	خطأ الناسخ؛ تكرار حرف الألف
البقرة (٢٠٢)	كسبوا	كسبون	خطأ الناسخ: نون بدلًا من الألف ويأتي معنا نفس الخطأ عند الحديث عن الآية ٢١٧ من سورة البقرة
البقرة (٢١٣)	ليحكم بين الناس	ليحكم (أ) بين الناس	خطأ الناسخ: إضافة ألف
البقرة: (٢١٧)	إن استطعوا	(ن) إن استطعو	خطأ الناسخ ورد نفس الخطأ عند الحديث عن الآية ٢٠٢ من سورة البقرة
المنافقون: (٧)	ولكن	ولكن (إ)ن	خطأ الناسخ

هـ) ألفاظ غير مقروءة تختلف عما ورد في مصحف عثمان:

الآية	مصحف عثمان	مصحف C-1	نوع الاختلاف
المائدة: (٥٤)	أذلة	؟؟؟	غير مقروء
المائدة: (٥٤)	أعزة	؟؟؟	غير مقروء
الحجر: (٦٨)	إن هؤلاء	؟	غير مقروء
الفجر: (٢٧)	النفس المطمئنة	النفس (-مـ-)	غير مقروء؛ خطأ بفعل يد الناسخ
الفجر: (٢٨)	ارجعي إلى	ا - ؟	غير مقروء (هناك مساحة لحرف واحد أو حرفين فقط بعد الألف)

الملحق (٣): أسماء السور في المصحف C-1:

العناصر الموضوعة بين قوسين لا تظهر إلا بصورة جزئية لكنها كافية لتبرير القراءة الواردة هنا.

الآية	المصحف C-1	ملاحظة
ختام سورة المنافقون	هذه ختمة سـ(ورة) المنفقين	اسم السورة
ختام سورة الجمعة	(هذه) ختمة سورة الجمـ(عة)	اسم السورة
ختام سورة الفجر	هـ(ذه) ختمة الـ(فجر)وليل العشر	اسم السورة

الملحق (٤) خصائص إملائية للمصحف C-1:

العناصر الموضوعة بين قوسين لا تظهر إلا بصورة جزئية لكنها كافية لتبرير القراءة الواردة هنا. ورغم استخدام النقاط والهمزات أدناه، إلا أنها لا تظهر في الأصل.

الآية	الطبعة السعودية الحديثة	المصحف C-1
البقرة: (١٩٣)	حتى	حتا
البقرة: (١٩٤)	الحرام... الحرام	الحرم... الحرم
البقرة: (١٩٤)	قصاص	قصص
البقرة: (١٩٦)	حتى	حتا
البقرة: (١٩٦)	من صيام	من صيم

الآية	الطبعة السعودية الحديثة	المصحف C-1
البقرة: (١٩٦)	فصيام	فصيم
البقرة: (١٩٦)	كاملة	كملة
البقرة: (١٩٦)	حاضري	حضري
البقرة: (١٩٦)	الحرام	الحرم
البقرة: (١٩٦)	جدال	جدل
البقرة: (١٩٧)	الزاد	الزد
البقرة: (١٩٧)	يأولي الألبب	يأولا الألبب
البقرة: (١٩٨)	جناح	جنح
البقرة: (١٩٨)	الحرام	الحرم
البقرة: (١٩٨)	الضالين	الضلين
البقرة: (١٩٩)	أفاض	أفض
البقرة (٢٠٣)	أيام	أيم
البقرة (٢٠٤)	الخصام	الخصم
البقرة: (٢٠٦)	المهاد	المهد
البقرة: (٢٠٧)	مرضات	(مرضت)
البقرة: (٢٠٧)	بالعباد	بالعبد
البقرة: (٢١٠)	الغمام	الغمم
البقرة: (٢١٠)	أتينهم	اتينهم (حرف الياء غير منقوط، وتميزه

الآية	الطبعة السعودية الحديثة	المصحف C-1
		سنّ)
البقرة: (٢١١)	العقاب	العقب
البقرة: (٢١٢)	حساب	(حسب)
البقرة: (٢١٤)	الباسا	البسا
البقرة: (٢١٦)	القتال	القتل
البقرة: (٢١٧)	الحرام	الحرم
البقرة: (٢١٧)	قتال	قتل
البقرة: (٢١٧)	قتال	قتل
البقرة: (٢١٧)	لا يزالون	لا يزلون (الظهر)
البقرة: (٢١٧)	يقاتلونكم	يقتلونكم
البقرة: (٢١٨)	هاجروا	هجروا
البقرة: (٢١٨)	رحمت	رحمة
البقرة: (٢١٩)	يسئلونك	يسألونك
البقرة: (٢١٩)	ويسئلونك	ويسألونك
البقرة: (٢٢٠)	ويسئلونك	ويسألونك
البقرة: (٢٢٠)	إصلاح	إصلح
البقرة: (٢٢٠)	تخالطوهم	تخلطوهم

الآية	الطبعة السعودية الحديثة	المصحف C-1
البقرة: (٢٢٢)	ويسئلونك	ويسألونك
المائدة: (٤٤)	هادوا	هدوا
المائدة: (٤٤)	بأيتي	بايتي بلا إعجام (فقط سن زائدة)
المائدة: (٤٨)	عما	عن ما
المائدة: (٤٨)	منهاجًا	منهجا
المائدة: (٤٨)	في ما	فيما
المائدة: (٥٢)	دائرة	دئرة
الحجر: (٥٥)	الضالون	الضلون
الحجر: (٥٨)	قالوا	قلوا
الحجر: (٧١)	قال	قل
المنافقون: (٤)	أجسامهم	أجسمهم
المنافقون: (٥)	تعالوا	(تعلوا)
المنافقون: (٥)	رأيتهم	ريتهم
المنافقون: (٧)	حتى	حتا
المنافقون: (٧)	خزائن	خزئن
الجمعة: (٥)	الحمار	الحمر
الجمعة: (٥)	أسفارًا	أسفرا
الجمعة: (٦)	هادوا	هدوا

الآية	الطبعة السعودية الحديثة	المصحف C-1
الفجر: (٧)	العماد	العمد
الفجر: (٨)	البلد	البلد (مجرد سنّ، بلا نَقط في حرف الياء)
الفجر: (٩)	جابوا	جبوا
الفجر: (١٠)	الأوتاد	الأوتد
الفجر: (١١)	البلد	البلد مجرد سنّ، بلا نقط في حرف الياء
الفجر: (١٤)	لبالمرصاد	لبالمرصد
الفجر: (١٨)	طعام	طعم
الفجر: (٢٦)	وثاقه	وثقه
الفجر: (٢٨)	راضية	رضية